وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education & Scientific Research

مجلة السلام الجامعة
للعلوم الانسانية

مجلة السلام الجامعة

مجلة فصلية محكّمة للعلوم الإنسانية

تُصدرها كلية السلام الجامعة

الرقم الدولي للمجلة
(2522 - 3402)
ISSN - 2959555-X (Print)
ISSN - 29595541- (Electronic)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/74

العدد الثاني والعشرون
المجلد الأول

آذار
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق:
(2127) لسنة 2015 ميلادية

مجلة

السلام الجامعة

مجلة فصلية محكمة للعلوم الإنسانية

تُصدرها كلية السلام الجامعة

للعلوم الانسانية

مجلّة

السلام الجامعة

مجلة فصلية محكمة للعلوم الإنسانية

تُصدرها كلية السلام الجامعة

العدد ٢٢
آذار ٢٠٢٦م

الرقم الدولي للمجلة (2522-3402)

ISSN - 2959-555X (Print)

ISSN - 2959-5541 (Electronic)

https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/74

حقوق النشر محفوظة

- الحقوق محفوظة للمجلة.
- الحقوق محفوظة للباحث من تاريخ تسليم البحث إلا في حالة تنازله خطياً.

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾

[التوبة: ١٠٥]

١-اسم المجلة: مجلة السَّلام الجامعة
٢-اختصاص المجلة: العلوم الإنسانية والتطبيقية
٣-جهة الاصدار: كلية السَّلام الجامعة
٤-الموقع الالكتروني: www.alsalam.edu.iq
٥-البريد الالكتروني: journal@alsalam.edu.iq

المراجعة اللغوية:

أ.م.د. سعيد عبد الرضا خميس / اللغة العربية
أ. طارق العانى / اللغة الإنكليزية

الاشراف الطباعي والالكتروني:

أ.م.د. يوسف نوري حمه باقي

لغة النشر:

اللغة العربية، اللغة الإنكليزية

التحكيم العلمي:

البحوث التي تقبل للنشر في المجلة تعرض على أساتذة خبراء متخصصين تختارهم هيأة تحرير المجلة

مجالات التوزيع:

جمهورية العراق، والدول العربية، والدول الأجنبية على سبيل التبادل الثقافي والعلمي

مصادر التمويل: ذاتية

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية : **(2127)** لسنة **2015** ميلادية

الرقم الدولي للمجلة : **(3402 – 2522) (ISSN)**.

ISSN-2959-555X (Print)/ ISSN-2959-5541 (Electronic)

رئيس التحرير:

أ.د. عبد السلام بديوي يوسف الحديثي / عميد الكلية

نائب رئيس التحرير

أ.د. صبيح كرم زامل موسى الكناني / معاون العميد للشؤون العلمية

مدير التحرير:

أ.م. د. أحمد عباس محمد/ التخصص: فلسفة أصول الدين

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية/ كلية السلام الجامعة

هاتف مدير التحرير :

٠٧٧١٠٠٤٥٥٦٦

هيئة تحرير مجلة كلية السلام الجامعة

١. محسن عبد علي الفريجي/ Muhsin abd ali alfariji

١. الأستاذ الدكتور عبد السلام بديوي يوسف الحديثي/ Professor Dr. Abdul Salam Badiwi Yousef Al-Hadithi
لغة عربية ـــ عميد كلية السلام الجامعة / رئيس التحرير
٢. الأستاذ الدكتور صبيح كرم زامل موسى الكناني/ Professor Dr. Sabih Karam Zamil Musa Al-Kanani
إدارة تربوية ـــ معاون العميد للشؤون العلمية ـــ كلية السلام الجامعة / نائب رئيس التحرير
٣. الأستاذ المساعد الدكتور أحمد عباس محمد/ Assistant Professor Dr. Ahmed Abbas Mohamed
فلسفة أصول الدين ـــ كلية السلام الجامعة / مدير التحرير
٤. الأستاذ الدكتور محسن عبد علي الفريجي/ Professor Dr. Mohsen Abdel Ali Al-Fariji
علوم جغرافية ـــ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ العراق
٥. الأستاذ الدكتور كامل علي الويبة/ Professor. Dr. Kamel Ali Al-Weba
علوم تاريخ ـــ جامعة بنغازي/ ليبيا
٦. الأستاذ الدكتور عبد الله بلحاج/ Professor Dr. Abdullah Belhaj
لغة عربية ـــ جامعة سوسة / تونس
٧. الأستاذ الدكتور حنان صبحي عبد الله/ Professor Dr. Hanan Sobhi Abdullah
تخطيط ستراتيجي ـــ مركز البحوث / بريطانيا
٨. الأستاذ المساعد الدكتور يوسف نوري حمه باقي/ Assistant Professor. Dr. Yousef Noori Hama Baqi
فلسفة في الشريعة الإسلامية ـــ فقه مقارن، قسم الشريعة ـــ كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد
٩. الأستاذ الدكتور عبد الله هزاع علي الشافعي/ Professor. Dr. Abdullah Hazza Ali Al-Shafi'i
علم النفس الرياضي /كلية السلام الجامعة
١٠. الأستاذ الدكتور ماجد مطر عبد الكريم/ Professor Dr. Majid Matar Abdel Karim
كلية السلام الجامعة
١١. الأستاذ الدكتور ردينة مطر عبد الكريم/ Professor Dr. Rudina Matar Abdel Karim
كلية السلام الجامعة
١٢. الأستاذ المساعد الدكتور إبراهيم راشد الشمري/ Assistant Professor Dr. Ibrahim Rashid Al-Shammari
إدارة أعمال تنمية بشرية /كلية السلام الجامعة
١٣. الأستاذ المساعد عنيد ثنوان رستم/ Assistant Professor. Anaid Thanwan Rustom
رئيس قسم المالية والمصرفية /كلية السلام الجامعة

كلمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله الطاهرين وصحبه أجمعين، وبعد:

بين يديك عزيزي القارئ الكريم العدد الثاني والعشرون من "مجلة السلام الجامعة" التي تعانق أخواتها المجلات العلمية المحكمة التي تعتمد المستوعبات العلمية العالمية أحد أهم الجوانب في حساب المعدل التراكمي من خلال تواجدها في الموقع الالكتروني الوزارة التعليم العالي والبحث العلمي الخاص بالمجلات العلمية لتصنيف الجامعات والكليات الحكومية والأهلية في العراق والعالم، ويحمل العدد بين طياته بحوثا ودراسات من نتاج أساتذة الكلية وعدد من الباحثين من خارجها، تخص موضوعات تتعلق بتخصصات الكلية (العلمية والإنسانية) وهي تعالج موضوعات حيوية تتعلق بحياة الفرد والمجتمع بشكل علمي منهجي، نرجو أن ينتفع منه المختصون والدارسون والمعنيون بالاختصاصات التي تنهض بها كلية السلام الجامعة، وطلبة الدراسات العليا وغيرهم داخل العراق وخارجه، ونرى من المناسب ونحن نصدر هذا العدد أن نقدم شكرنا وتقديرنا العالي إلى السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي على الدعم الذي قدمه للتعليم الجامعي الأهلي، ونشكر كذلك السادة الباحثين الذين أسهموا في هذا العدد، وندعو الباحثين والمختصين إلى رفد المجلة والإسهام في أعدادها القادمة، ومن الله التوفيق والسداد وللعلم والعلماء الموفقية والازدهار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ.د. عبد السلام بديوي يوسف الحديثي

عميد الكلية

دليل المؤلفين

١. تنشر المجلة البحوث والدراسات التي تقع ضمن مجال تخصصها العلمي.

٢. أن يتسم البحث بالأصالة، والجدة، والقيمة العلمية، وسلامة اللغة، ودقة التوثيق.

٣. يمنح المؤلف الحقوق للمجلة بالنشر، والتوزيع الورقي والإلكتروني، والخزن، وإعادة استعمال البحث.

٤. أن يكون البحث مطبوعاً على الحاسوب بنظام (**office word 2010**) على قرص ليزري مدمج (**CD**) على شكل ملف واحد، وتزوّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية، ويمكن إرسال البحوث عبر بريد المجلة الإلكتروني.

٥. أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (**A4**).

٦. يُكتب في وسط الصفحة الأولى من البحث ما يأتي:

أ. عنوان البحث باللغة العربية.

ب. اسم المؤلف باللغة العربية ودرجته العلمية، وشهادته، وجهة انتسابه.

ت. بريد المؤلف الإلكتروني.

ث. الكلمات المفتاحية.

ج. ملخصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الانكليزية، يوضعان في بدء البحث على أن لا يتجاوز الملخص الواحد (٢٥٠) كلمة.

٧. يكتب عنوان البحث في وسط الصفحة بحجم خط (١٦) **Bold**.

٨. يكتب اسم المؤلف في وسط الصفحة بحجم خط (١٢) **Bold**.

٩. تكتب جهة انتساب المؤلف بحجم خط (١٢) **Bold**.

١٠. يكتب عنوان البريد الإلكتروني بحجم خط (١٢) **Bold**.

١١. يكتب ملخص البحث بحجم خط (١٢) **Bold**.

١٢. تكتب الكلمات المفتاحية التي لا يتجاوز عددها خمس كلمات بحجم خط (١١) **Bold**.

١٣. جهات الانتساب تُثبت كالآتي: (القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، البلد).

١٤. تكتب البحوث بنوع خط (**Simplified Arabic**) للغة العربية، وبخط نوع (**Times New Roman**) للغة الإنكليزية وبحجم خط (١٤).

١٥. مسافة الحواشي الجانبية (٢ , ٥٤) سم، والمسافة بين الأسطر (١ , ١٥) سم.

١٦. على الباحث اتباع قواعد الاقتباس وتوثيق المصادر والمراجع والإلتزام بأخلاقيات البحث العلمي.

١٧. تعتمد المجلة صيغة (**ApA**) في ترتيب المصادر والمراجع وتنسيقها.

١٨. تعتمد المجلة نظام فحص الاستلال باستعمال برنامج (**Turnitin**) ويرفض البحث الذي تتجاوز فيه نسبة الاستلال المقبولة عالمياً.

دليل المقوِّمين

١. يُرجى من المقوم قبل الشروع بالتقويم، التثّبت من كون البحث المرسل إليه يقع في حقل تخصصه العلمي لتتم عملية التقويم.

٢. لا تتجاوز مدة التقويم (١٠) أيام من تاريخ تسلّم البحث.

٣. تذكر المقوِّم إذا كان البحث أصيلاً ومهما لدرجة تلتزم المجلة بنشره.

٤. يذكر المقوِّم مدى توافق البحث مع سياسة المجلة وضوابط النشر فيها.

٥. يذكر المقوِّم إذا كانت فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة، وتتم الاشارة إليها.

٦. يحدّد مدى مطابقة عنوان البحث لمحتواه.

٧. بيان مدى وضوح ملخص البحث.

٨. مدى إيضاح مقدمة البحث لفكرة البحث.

٩. بيان مدى عملية نتائج البحث التي توصّل إليها الباحث.

١٠. تجري عملية التقويم بنحو سري.

١١. يُبلغ رئيس التّحرير في حال رغب المقوِّم في مناقشة البحث مع مقوِّم آخر.

١٢. تُرسل ملاحظات المقوِّم إلى مدير التحرير، ولا تجري مناقشات ومخاطبات بين المقوِّم والمؤلف بشأن البحث خلال مدّة تقويمه.

١٣. يبلّغ المقوِّم رئيس التحرير في حال تبيّن للمقوِّم أن البحث مستل من دراسات سابقة، مع بيان تلك الدراسات.

١٤. يُحدد المقوِّم العلمي بشكل دقيق الفقرات التي تحتاج إلى تعديل من المؤلف.

١٥. تعتمد ملاحظات وتوصيات المقوِّم العلمي في قرار قبول النشر وعدمه.

تعهد نقل حقوق الطبع والتوزيع

إني الباحث .....

صاحب البحث الموسوم بـ(.....

.....

.....

.....

.....).

أتعهد بنقل حقوق الطبع والتوزيع والنشر إلى مجلة (السلام الجامعة).

التوقيع:

التاريخ:

تعهد الملكيّة الفكريّة

إني الباحث .....

صاحب البحث الموسوم بـ(.....

.....

.....

.....

.....).

أتعهد بأن البحث قد أنجزته، ولم يُنشر في مجلة أخرى في داخل العراق أو خارجه، وأرغب في نشره في مجلة (السلام الجامعة).

التوقيع:

التاريخ:

عناوين البحوث المقدمة لمجلة الكلية

ت	الباحث	عنوان البحث	رقم الصفحة
١.	أ.د. محمود بندر علي محمد	قول الإمام مالك (ت١٧٩هـ): "الأمر عندنا" في مسائل الصلاة من خلال كتابه المدونة	١-٢٠
٢.	أ.م.د. أحمد عباس محمد	الألوهية في العقيدة الإسلامية	٢١-٥٢
٣.	أ.م.د. أحمد رشيد حسين	تأويل النص القرآني عند المدرسة التفكيكية / دراسة في الأسس والأهداف	٥٣-٧٨
٤.	د. جاسم طه حمود علي المشهداني	المسائل الخاصة بالمرأة المسلمة في الصلاة / دراسة فقهية مقارنة	٧٩-١١٢
٥.	أ.م.د. أروى نهاد إسماعيل عبد	الربا في المصارف المعاصرة / دراسة فقهية للقروض بفائدة	١١٣-١٣٢
٦.	أ.م.د. رعد عبد الله فياض	آليات توجيه النص القرآني للقيم الأخلاقية في عصر العولمة	١٣٣-١٥٦
٧.	أ.د. هدى عباس قنبر م.د. مصطفى أحمد محسن زغير م.د. جمعة حسين علي حردان أ.م.د. إسماعيل عكلة عبد اللطيف مهدي	فاعلية هندسة الأوامر في تعزيز دقة الاسترجاع المعرفي للنصوص الشرعية باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي	١٥٧-١٧٦
٨.	أ.م.د. طاهر عبد الأمير طاهر أبو العيس	عوامل جنوح الأحداث / الوقاية والعلاج	١٧٧-٢٠٦
٩.	أ.م.د. أحمد جميل مهنا	كفاية الناسك في أداء المناسك الشيخ مصطفى الدمياطي (ت١٢٩٨هـ) / دراسة وتحقيق	٢٠٧-٢٣٤
١٠.	أ.م.د. حسن عودة غضاب	الحرب الصهيونية الإيرانية وتأثيرها على مطارات الشرق الأوسط السياحية / دراسة حالة مطارات العراق الدولية السياحية	٢٣٥-٢٥٦
١١.	م.د. فرح محمود شويش	الاستنباط وأنواعه في القرآن الكريم	٢٥٧-٢٧٢
١٢.	م.د. علي طالب محل	المروءة في الإسلام وأثرها في المجتمع / دراسة تحليلية لأحاديث أهل البيت (عليهم السلام)	٢٧٣-٢٩٦

١٣.	م.د. حوراء ابراهيم جاسم	تصورات الشعراء العرفانية للإبداع الشعري	٣١٠-٢٩٧
١٤.	م.د. ساجدة علاوي داود جياد	الشورى في أصول الفقه / مقاربة مقاصدية	٣٣٠-٣١١
١٥.	م.د. صالح خالد عبد القادر عياش	الجانب الدعوي في تغيير المنكر باليد واللسان والقلب	٣٦٠-٣٣١
١٦.	م.د. فادية عباس هادي	الموقف الإيراني من المواجهات الأرمنية ـــ الاذربيجانية في العام ٢٠٢٣	٣٧٤-٣٦١
١٧.	م.د. محمد مصلح مهدي المحمدي	التقديم غير الاصطلاحي في القرآن الكريم	٣٩٤-٣٧٥
١٨.	م.د. ورقاء محمد رحيم	المبادرات الإقليمية والدولية لحل الصراع الليبي بعد عام ٢٠١١	٤٠٨-٣٩٥
١٩.	م.د. جاسم حميد جاسم محمد م.م. محمد عادل مسعود محمد	المضامين الإيمانية في توحيد الله بين أهل الحديث والمتكلمين/ دراسة مقارنة	٤٤٠-٤٠٩
٢٠.	م.د. إيناس صباح إبراهيم محمد	مقصد حفظ المال وتطبيقاته في آيات الأحكام / نماذج مختارة	٤٦٠-٤٤١
٢١.	م.د. عدنان مهدي حمد	الجدل القرآني مع الخطابات الدينية السابقة / مقاربة في ضوء نظرية التناص التفسيري	٤٩٠-٤٦١
٢٢.	م.د. وعد الله عزيز معروف	أفعال العباد في البناء العقدي الإسلامي / دراسة تأصيلية	٥١٢-٤٩١
٢٣.	م.د. شهد حسين علي	الإيمان بالعقل الكوني دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية	٥٣٢-٥١٣
٢٤.	م.د. سنان حامد كامل	الاستفهام بـ "هل" / خصائصه وأغراضه البلاغية في التعبير القرآني	٥٤٤-٥٣٣
٢٥.	م. باقر جلوي علوان	الصورة الشعرية في شعر "كشاجم" وفاعلية عناصرها في تشكيل بنيتها الجمالية	٥٦٨-٥٤٥
٢٦.	الباحث : م. مها محمد طه أحمد إشراف: أ.د. سامي جميل إرحيم	ترجيحات الإمام الروياني (ت٥٠٢هـ) في باب القضاء من كتابه "بحر المذهب" / مسائل فقهية مختارة	٥٩٤-٥٦٩
٢٧.	الباحث م.م. ميديا محسن علي خان إشراف: أ.د. نيان نوشيروان فؤاد	الصورة الفنية في عناوين القصائد النثرية لمحمد الماغوط	٦٢٠-٥٩٥
٢٨.	م.م. وفاء حارث عبد الهادي أحمد	الكراهة والتحريم عند الأصوليين وتطبيقاتها الفقهية على محتوى مواقع التواصل الاجتماعي / رأي السيد السيستاني إنموذجا	٦٤٢-٦٢١

٢٩.	م.م. شهلاء عبد الكريم جياد أ.د. حسين حماد عبد رجب	الحرب الأهلية في اليونان (١٩٤٦-١٩٤٩) / دراسة تأريخية	٦٤٣-٦٦٤
٣٠.	م.م. فائق إسماعيل أحمد شهاب القيسي	الإدمان المباح	٦٦٥-٦٨٤
٣١.	م.م. شهد جاسم محمد جاسم الدليمي	أثر استراتيجية قائمة على نظرية الذكاء الثلاثي في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة قواعد اللغة العربية	٦٨٥-٧١٨
٣٢.	م.م. أحمد محمود محمد	الأمن الإنساني في ظل النزاعات الداخلية / دراسة حالة سوريا	٧١٩-٧٤٦
٣٣.	م.م. رعد خضير صليبي	العلاقات العراقية ـ المصرية وافاقها المستقبلية	٧٤٧-٧٦٦
٣٤.	م.م. زهراء جبار رهيف الشويلي	هندسة إدارة الأزمات السياسية في العراق	٧٦٧-٧٨٤
٣٥.	م.م. لمياء نبيل محمود سعيد	تحليل أسئلة الوزارية لمادة اللغة العربية لمرحلة التعليم المهني في العراق من ٢٠١٩_٢٠٢٤ على وفق تصنيف بلوم	٧٨٥-٨١٢
٣٦.	م.م. محمد رشيد حمد شمران الزوبعي	حكم وطء غير الآدميات (البهائم) دراسة فقهية مقارنة	٨١٣-٨٢٦
٣٧.	م.م. غسان كوان راشد	فنون الحوار في الحديث النبوي / دراسة تطبيقية في الأحاديث الحوارية ذات البعد التربوي	٨٢٧-٨٥٨
٣٨.	الباحث: گيلان صالح أحمد كريم المشرف: أ.د. هيوا عبد الله كريم	الحُقول الدّلاليّة في سُورة الأنعام / الحَيَوان والنّبات إنمُوذجًا	٨٥٩-٨٧٦
٣٩.	الباحثة: تافگه أرسلان عمر إشراف: أ.م.د. آزاد عبدول رشيد	البُنيَة الزّمَنيّة في روايَة النّبيذة لإنعام كَجه جي	٨٧٧-٨٩٦
٤٠.	الباحث: عبد الستار جبير الطيف الكبيسي إشراف: أ.د. محسن قحطان حمدان	دليل العِنايَة والاختِراع في علم الكَلام الإسلامي	٨٩٧-٩١٤
٤١.	الباحث: وضاء حسين عبد الحافظ الخالدي إشراف: أ.م.د. علي جميل طارش	التقليـــد وأحكامـــه / دراسة أصولية	٩١٥-٩٢٦
٤٢.	الباحثة: زهراء حمد خليف علاوي بإشراف: أ.د. قصي سعيد احمد	اختيارات الإمام ابن محرز (ت٤٥٠هـ) في العبادات / نماذج فقهية مختارة	٩٢٧-٩٥٠
٤٣.	الباحث: سامي عويد كاظم رميض إشراف: أ.م.د. ميادة فاضل أحمد	مقصد حفظ الدين عند الإمام الدارمي في سننه	٩٥١-٩٦٦
٤٤.	الباحثة: خالده مطرود ظاهر جابر إشراف: أ.م.د. إبراهيم جليل علي حسين	ترجيحات الإمام الولوالجي في مسائل الزكاة / قبول جائزة السلطان أنموذجا	٩٦٧-٩٩٠

٤٥.	إشراف: الأستاذ الدكتور سيد رسول آقايي الباحث: أحمد حسن الفياض	دور الإكراه في العقوبة / مقارنة بين القانون العراقي والإيراني	٩٩١-١٠٠٢
٤٦.	إشراف الأستاذ الدكتور سيد رسول آقايي الباحث: ثمين فاضل عبد السادة	دور الشهادة في إثبات الجريمة بين القانون العراقي والإيراني والشريعة الإسلامية	١٠٠٣-١٠٢٢
٤٧.	م.د. رويدة رشيد مجيد	الاجتهاد المقاصدي وأهميته في الترجيح	١٠٢٣-١٠٥٦
٤٨.	أ.م.د. أحمد طايس حسن	الصُوَر الوصفيّة في سورة الكهف	١٠٥٧-١٠٩٠
٤٩.	م.م. عبد الجليل بشير محمد إبراهيم	أقسام الكلام بين المتقدمين والمتأخرين	١٠٩١-١١٠٨
٥٠.	م.م. هديل غازي فيصل حمد المساري	أثر تصميم المقاعد المدرسية في تحسين الراحة المدرسية وجودة البيئة التعليمية لدى طلاب مدارس تربية بغداد / الكرخ الثالثة	١١٠٩-١١٣٢
٥١.	م.د. ليلى رحيم كاظم	الحياة الثقافية والاجتماعية لدى المماليك / دراسة تحليلية تاريخية	١١٣٣-١١٤٨
٥٢.	الباحث: نعمان محمد صديق أ.م. فيان عبد القادر أحمد	التشاؤم العلائي في شعر شعراء المهجر	١١٤٩-١١٦٨
٥٣.	م.م. حسناء خلف عبد الله	الحاكمية السياسية في ضوء المقاصد الشرعية / رؤية معاصرة	١١٦٩-١١٩٠
٥٤.	أ.م.د. حسام عواد خليفة	القيم الإنسانية في شخصية المرأة المثالية في القرآن "امرأة فرعون، مريم عليها السلام، بنات شعيب، ملكة سبأ إنموذجا" / دراسة موضوعية	١١٩١-١٢٠٤
٥٥.	م.د. عمر يونس عبد	مفهوم الحرية الشخصية في الحديث النبوي وموقفه من المستجدات الثقافية المعاصرة	١٢٠٥-١٢٢٠
٥٦.	م.د. جعفر حسن لفته حزام	دور السيد محمد باقر الصدر في تجديد علم الكلام / دراسة مقارنة بين منهجه ومنهج محمد إقبال	١٢٢١-١٢٤٢
٥٧.	أ.د. إيمان متعب محي	جورج هانت بندلتون ودوره السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٨٨٩	١٢٤٣-١٢٦٢
٥٨.	الباحث: عمر محمد خلف حسن إشراف: أ.د. محمد شاكر رشيد	إلزامات الإمام ابن حزم (ت٤٥٦هـ) للفقهاء في عقد السَلَم من كتابه المحلى / دراسة فقهية مقارنة	١٢٦٣-١٢٨٠
٥٩.	أ.م.د. سعاد عبد الكاظم الزهيري	تصنيف منظمة الغذاء والزراعة الدولية (FAO) للأراضي في العراق	١٢٨١-١٢٩٤
٦٠.	أ.م.د. علي أحمد شكر	الاختلاف في نسب المسيح في الأناجيل الأربعة / دراسة تحليلية	١٢٩٥-١٣١٠

٦١.	م.م. طيبة صباح صلاح المهدي	التقاطعية بين اقتصاد الانتباه ونماذج الإدارة الإعلامية المعاصرة / مقاربة تحليلية في تآكل الاستقلال المؤسسي	١٣١١-١٣٢٦
٦٢.	الباحثة: ابتسام علي محمود إشراف: أ.م.د. آزاد عبدول رشيد	الغربة والاغتراب في روايَة خزامَى لـ سمَانِ أنطون	١٣٢٧-١٣٥٠
٦٣.	م.م. أسامة سامي عداي	التوزيع المكاني لعمالة الأطفال في محافظة بغداد	١٣٥١-١٣٧٤
٦٤.	أ.م.د. محمد عبد الصاحب الكعبي طالب ماجستير المحامي أحمد مالك حاتم التميمي	جبر ضرر ذوي الشهيد وفقا للقواعد العامة والخاصة / مؤسسة الشهداء إنموذجا	١٣٧٥-١٤١٠
٦٥.	الباحث الأول: م.م. أسيل عبد الوهاب خليل الباحث الثاني: م.م. محمد ستار جبر	حماية حقوق الأقليات دوليًا في مناطق الحروب / العلويين والإيزيديين إنموذجا	١٤١١-١٤٣٠
٦٦.	م.د. رشيد أحمد مجيد	بنية المقابلة وأثرها في تشكيل الرؤية المأساوية في مرثية التهامي (ت٤١٦هـ) لابنه	١٤٣١-١٤٤٨
٦٧.	م.د. محمود منصور عبد الكريم	الأحاديث الواردة في دفن الميت ليلا في الكتب التسعة / دراسة تحليلية	١٤٤٩-١٤٨٠
٦٨.	م.م. مها أحمد كمال العاني	منهج القرآن الكريم في تأسيس قواعد أصول الفقه / دراسة تطبيقية	١٤٨١-١٤٩٤
٦٩.	م.د. صالح علي حمود القيسي	التكرار وأثره في بناء المعنى الشعري عند أبي هلال العسكري	١٤٩٥-١٥٢٠
٧٠.	Sarab S. Yousif AL-Akraa	Using Artificial Intelligence in learning Second language	١٥٢١-١٥٢٨

الجدل القرآني مع الخطابات الدينية السابقة / مقاربة في ضوء نظرية التَّناص التَّفسيري

The Qur'anic debate with previous religious discourses: An approach in light of the theory of interpretive intertextuality

اعداد

م.د. عدنان مهدي حمد

Dr. Adnan Mahdi Hamad

جامعة سامراء / كلية العلوم الاسلامية

adnan.mah.ha@uosamrra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: التناص التفسيري، الجدل القرآني، الخطاب القرآني، التناص المكشوف، التناص الجدلي.

Keywords: interpretive intertextuality، Quranic dialectic، Quranic discourse، revealed intertextuality، dialectical intertextuality.

ملخص البحث

هدف البحث إلى بيان تميز النص القرآني بقدرته على تشكيل الذاكرة الدينية، من منظورات الجدل مما برز في سياقات الأمم السابقة ونقاشاتهم مع أنبيائهم، وربط ذلك بالتناص التفسيري؛ ليكون مفتاحًا للجدل بين النصوص؛ ليظهر أن جدلية الخطاب القرآني بوصفه نصًا كاشفًا تحول من مجادلة الأمم السابقة إلى الرمزية لمخاطبة أمتنا ليُعيد تشكيل الذاكرة الدينية. وخرجت نتائج البحث بأن حضور التناص المكشوف في النص القرآني من منظور مناقشة الأقوال الواردة في قصص الأمم السابقة، كما ظهر في دعوات أنبياء الله (ﷻ) لأقوامهم.

إن آلية التحليل الرمزي ترتبط بحالة من الجدال تكشف الفعل والدافع، وتكشف المطمور وراء النص. وقد برزت آلية التفسير التحليلي في القرآن في مواضع عديدة، عمد فيها السياق القرآني إلى كشف التحيزات والصراعات على أساس تحليلي نقدي.

حضر التناص التفسيري من النصوص السابقة في التفسير بالمأثور، وهو ما نجده في حالة استحضار أقوال الرواة، من أهل الكتاب، في كتب التفسير، إذ تناولت قصص الأنبياء مع أقوامهم، التي ضمنتها كتب التفسير. يشير التحول من التناص التفسيري إلى الجدلي للتحول من الاكتفاء بإيراد الروايات في كتب التفسير إلى نقدها وتمحيصها، وترجيح الرأي الصحيح منها.

Abstract

The research aimed to demonstrate the Quran's unique ability to shape religious memory، particularly through the lens of argumentation as seen in the contexts of past nations and their debates with their prophets. It linked this to interpretive intertextuality، which serves as a key to understanding the intertextuality between different texts. The research revealed that the dialectic of the Quranic discourse، as a revealing text، shifted from engaging with past nations to employing symbolism to address our own people and reshape religious memory.

The findings indicated that: - the presence of explicit intertextuality in the Quranic text، specifically in discussions of narratives from past nations، as seen in the prophets' calls to their people; - the mechanism of symbolic analysis، linked to a state of debate that reveals action and motivation، uncovering what lies hidden behind the text; and - the analytical interpretation mechanism، which is prominent in the Quran in numerous instances where the Quranic context reveals biases and conflicts through critical analysis. Intertextuality، drawing from previous texts، is present in traditional exegesis، as seen in the inclusion of sayings of narrators from the People of the Book in books of exegesis.

These sayings relate the stories of the prophets and their people، which are included in these books. The shift from intertextuality to dialectical intertextuality indicates a move from simply citing narrations in exegesis to critiquing and scrutinizing them، and ultimately determining the most accurate interpretation.

المقدمة

يُعد الخطاب القرآني خطابًا لغويًا عامًا إلى كل الألسن واللهجات، ولكي تصل الرسالة فعلًا إلى المرسل إليهم يتعين أن يقفوا على مضمونها، وأن يعرفوا محتواها معرفة تامة، ويُعد الخطاب القرآني أثرًا أدبيًا فريدًا، فالنسق القرآني وعاء اختزن كل الأجناس الأدبية المعروفة والجاري اكتشافها.

فبنية القصص القرآني قائمة على صور من ضروب قصص الأمم السابقة وما أصابها من عقوبات عندما كذبت وعصت، والغرض من ذكرها الاعتبار بحالهم لئلا يصيبنا ما أصابهم، فنقف على طريقة الحِجَاج القرآني وكيف يقذف الله تعالى بالحق على الباطل فيدمغه، وكيف يبين الحق ناصعًا لا لبس فيه، ويكشف الشبهة كشفًا تامًا، فننظر إلى كمال حجة الله وإحكامها، حيث لا يبقى بعدها لذي باطل ما يستمسك به.

فالقصص القرآني وقائع حدثت في التاريخ من قصص الماضين والأمم السالفة الهلكة، وما من قصص إلا وهو حقٌ وصدق، فليس فيه ما هو من نسج الخيال بل هي وقائع حدثت في تاريخ الأمم وتصدَّى القرآن للإخبار عن بعضها. ولعلنا في هذا الموضوع نتدارس بعض هذه الحجج البليغة في القرآن العظيم، التي فندت شبهًا مستخدمًا آيات الجدل لأمم السابقة فجاء الموضوع باسم: (الجدل القرآني مع الخطابات الدينية السابقة مقاربة في ضوء نظرية التَّناص التَّفسيري).

إشكالية البحث وتساؤلاته: أتجه اللسانيون إلى دراسة أساليب القرآن الكريم في جداله مع المخالفين، من دراسة ألفاظ الجدل، وأساليب الحوار وما تضمنه من براهين وحجاج في دراسة متعمقة. والاهتمام بأساليب الجدل وأنماط الحوار وأساليبه القرآنية، وهو الذي اهتمت به الدراسات التفسيرية الحديثة، ونستطيع من خلال بحثنا أن نجيب عن السؤال الرئيس؛ كيف تجلى الجدل القرآني مع الخطابات الدينية السابقة؟ وينبثق عنه عدة تساؤلات فرعية كالآتي:

١. ما الجدل القرآني؟
٢. ما نظرية التَّناص التَّفسيري؟
٣. ما مدى استخدام النص القرآني للجدال المكشوف؟
٤. كيف أصبح الجدل آلية للتفكيك الرمزي للنص؟
٥. ما مدى استخدام التناص التفسيري بوصفه مفتاحًا للجدل؟

أهداف البحث: تكمن أهداف البحث في النقاط الآتية:

١. الكشف عن مجابهة الجدل القرآني للخطابات الدينية السابقة.
٢. بيان استخدام النص القرآني للجدال المكشوف.
٣. إبراز أنَّ الجدل آلية للتفكيك الرمزي للنص.
٤. بيان استخدام التناص التفسيري بوصفه مفتاحًا للجدل للخطابات الدينية السابقة.

- **الدراسات السابقة:** بعد الاطلاع على البحوث الأكاديمية ومطالعة محركات البحث، وقفت على الدراسات التي اقتربت في تناولها من بحثي، وجاءت الدراسات مرتبة من الأقدم للأحدث كالآتي:

١. دراسة (الحربي)[١]: حيث تناولت الأساليب الدعوية والجدلية في القصص القرآني من خلال دعوة إبراهيم (عليه السلام)؛ لأن منهجه الدعوي حافل بتلك الأساليب، وقد استعمل الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وهدف البحث إلى: بيان مفهوم الأساليب الدعوية. وذكر خصائص الأساليب الدعوية والجدلية في القرآن الكريم. وإبراز الأساليب الدعوية والجدلية من خلال قصة إبراهيم (عليه السلام).
٢. دراسة (الجويني)[٢]: هدف البحث في تناوله لمفهوم الجدل في القرآن الكريم، مساهمة في إخراج هذا المعطى الإلهي (القرآن الكريم) من التفعيل السطحي والمقاربات البسيطة التي ظل مسرحا لها ردحا من الزمن إلى فضاءات أرحب، وتقديمها على أساس أنها باعثة تنهض على وتيرة استدعائية، من شأنها التنظير في مجال الدراسات الأدبية والفنية التي يشي بها المتن القرآني.
٣. دراسة (الطويل)[٣]: هدف البحث لبيان التعرف على موارد الجدل القرآني عند الحنابلة، موضحًا نشأة الجدل القرآني عندهم، ومصنفات الجدل القرآني حيث صنف عددًا من المصنفات في الجدل القرآني وجملة المصنفات الجدلية الحنبلية التي وقف عليها الباحث والتي بلغت (١٥) مصنفًا. وقد تميزوا بالعناية بالجدل القرآني.

---

(١) الحربي، محمد. ٢٠٢١ م. الأساليب الدعوية والجدلية في القصص القرآني: قصة إبراهيم عليه السلام أنموذجا. مجلة العلوم الشرعية بجامعة القصيم، مج١٥، ع٢، المملكة العربية السعودية.

(٢) الجويني، ماهر. ٢٠٢١م. الجدل في القرآن الكريم. مجلة مداد، بإفريقية للدراسات والتوثيق والنشر، مج٣، ع٥. تونس.

(٣) الطويل، محمد. ٢٠٢٣م. موارد الجدل القرآني عند الحنابلة: دراسة استقرائية وصفية. مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع١٤٦. القاهرة. مصر.

٤. دراسة (المنيع)[١]: هدف البحث لبيان أن علم الجدل قد استفاد من المنقول من الأدلة السمعية والمعاني الشرعية، ومبني على الأصول الفقهية والقواعد المرضية، ومتحاكم فيه إلى حاكم الشرع الذي لا يعزل؛ كما هو مستفيد من شاهد العقل المذكي المعدل.

٥. دراسة (السهلي/ آل الشيخ/ القحطاني/ المهيدب)[٢]: هدف البحث إلى عرض ودراسة أساليب القرآن الكريم في جداله مع المخالفين، فتناول تعريف الجدل، وبيان أنواعه وموقف السلف الصالح منه، والفرق بين موقفهم وبين موقف المتأخرين من المتكلمين. ثم بين منهج القرآن الكريم في الجدل من خلال استعراض طريقته في الجدال.

التعقيب على الدراسات السابقة بإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بينه وبين بحثي: اتفقت تلك الدراسات السابقة مع بحثي في تناول الجدل في القرآن الكريم، وأنه من النصوص التي جادلت أهل الباطل من الأمم السابقة لكنها اختلفت في طريقة التناول وفي موضوعية بحثي فنجد من الدراسات من اهتمت بالقصص القرآني في الجدال بها، ومنها من اهتمت بالجدال القرآني عند مذهب الحنابلة وتعداد مؤلفاتهم في ذلك ومنها ما هدف لبيان أن علم الجدل قد استفاد من المنقول من الأدلة السمعية والمعاني الشرعية، ومنها ما نظَّر لمنهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين، ولم يستخدم التناص القرآني في الردود غير الدراسة الأولى عن طريق تفاعل نصوص لاحقة مع سابقة وتداخلها، وهو ما اختلف مع دراستي حيث ارتكزت على التَّناص التَّفسيري متخذا منه طريقة في الجدل القرآني مع الخطابات الدينية السابقة، وكيف أن المفسرين قد حدث بينهم في لغاتهم وطريقة تفسيرهم المختلفة من تناص بين الأقوال التفسيرية، وهو ما بينته من خلال تحقيق تقسيمات بحثي.

منهج البحث: اتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي، متخذًا من أهم أدواته وهو التحليل لنقف على النصوص التفسيرية لدى المفسرين وكيف جادل النص القرآني مجابهة الأمم السابقة؟ كذلك المنهج التاريخي؛ لمعرفة المتقدم والمتأخر من النصوص التفسيرية التي وقع فيها الجدال. ثم المنهج المقارن كيف نستخرج من

---

(١) المنيع، فهد. ٢٠٢٣م. استدلال الجدليين بالقرآن الكريم على المسائل الجدلية: جمعا ودراسة. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، بمؤسسة البحوث والدراسات الفقهية وعلوم القرآن الكريم الوقفية، مج٣٤، ع١٢١. المملكة العربية السعودية.

(٢) السهلي، عبد الله / آل الشيخ، الجوهرة / القحطاني، نجلاء/ المهيدب، أفنان. ٢٠٢٣م. منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين: بدائل الجدل المنطقي. مجلة الدراسات العقدية، بالجامعة الإسلامية – كلية الدعوة وأصول الدين – الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، مج١٦، ع٣٢. المملكة العربية السعودية.

التحليل بين أقوال المفسرين من الاستنتاجات التي سنقف عليها من خلال بحثنا وتوجيهها من خلال نظرية التناص التفسيري.

خطة البحث: المبحث الأول: جدلية الخطاب القرآني بوصفه نصًا كاشفًا لا ناسخًا، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التناص المكشوف.

المطلب الثاني: الجدل بوصفه آلية تفكيك رمزي.

المطلب الثالث: القرآن بوصفه خطابًا يُعيد تشكيل الذاكرة الدينية.

المبحث الثاني: التناص التفسيري بوصفه مفتاحًا للجدل بين النصوص، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حضور النصوص السابقة في التفسير بالمأثور.

المطلب الثاني: التحول من التناص التفسيري إلى التناص الجدلي.

المطلب الثالث: جدل التأويل وحدود التناص في التفسير المعاصر.

الخاتمة: وتشتمل على النتائج، والتوصيات.

المبحث الأول: جدلية الخطاب القرآني بوصفه نصًا كاشفًا لا ناسخًا

يعمد الخطاب القرآني إلى اتخاذ الخطاب الجدلي في التعمق في الفكر بكل روافده ليكشف عن الخصم جميع ثغوره مطوقً ذلك بأسلحته اللغوية والمنطقية ليفند كل شبه الخصم، حيث يميل دائمًا إلى جانب الإنصاف مع خصومه الجدلية، ويظهر ذلك جليًا في النقاط الآتية:

- استخدام نظرية التناص المكشوف.
- استخدام الجدل بوصفه آلية تفكيك رمزي.
- أنَّ القرآن بوصفه خطابًا يُعيد تشكيل الذاكرة الدينية.

المطلب الأول: التناص المكشوف

عندما ننظر للنص القرآني بوصفه نصًا إلهيًا فإنه حتمًا لا بد أن يتداخل ضمنيًا وتشابهًا مع النصوص الإلهية السابقة له، وتؤكد هذه الطبيعة المشتركة أو المتعالقات النصية بين نصوص سابقة ولاحقة من توحيد المصدر، واعتبر التعالق النصي (التقارب في الأسلوب) أو ما يطلق عليه أدبيًا بالتناص المكشوف الذي يعيد النقل بالنص، فلا يدخل في النص شيئًا من التصرف أو النقل

بالمعنى[١]. فظهوره ضرورة بين القرآن والكتب السماوية لتوحيد المصدر والدعوة إلى إله واحد وتضامن كثير من قضايا العقيدة التي تتسم بالثبات لثبات المصدر، فتظهر جدلية الخطاب القرآني لأمم السابقة بعقائدهم وثقافتهم بأن يكشف تلك المخالفات دون نسخها.

تلك الموضوعات والمفاهيم والثقافات (عقائد وعبادات) ما هي إلا جذور ولُحْمة ممتدة من نسج نصي واحد لنرى كيف يُظهر القرآن أجزاء من الخطابات السابقة (كالتوراة والإنجيل) بوصفها مواد معرفية منقولة؟! ثم يُعيد ترتيبها بنسيج نصي وتشكيل ضمني.

وقد أفاد النص القرآني من ذلك في سياق الجدل، وإقامة الحجة على المخالفين، لا سيما أهل الكتاب الذين واجههم النص القرآني في مواضع عديدة؛ ليعيد ترتيب نصوصهم وفق منهجية جدلية تتسم بالقدرة على الإقناع وإقامة الحجة.

فنجد مجادلة قصص القرآن للأمم السابقة ببيان سبب إهلاكهم واستبدالهم بأممً أخرى وأن السبب الرئيس في هلاكهم هو ذنوبهم، برغم إرسال الرسل والكتب فما اعتبروا بها قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[٢]، إذ وجه سبحانه وتعالى بأن أرسل عليهم الأمطار من السماء فأخرجت لهم الرزق من النباتات والثمار من الأشجار، فأخرجت لهم الأرض من خيرها وريعها، وتفجرت الجبال بينابيع المياه من وسط صخورها، فغمطوا كل تلك النعم ولم يأبوا بها، فخالفوا أمر ربهم وعصيان رسله، فكان سبب هلاكهم ما اجترحوا من ذنوب[٣]. ومن براعة أسلوب المجادلة في القرآن الدلالة التضامنية فإذ وسع الله عليهم أسباب الرزق، وسهل عليهم أبواب المعيشة، وأدركوا محبوبهم ومطلوبهم، وفتح الله عليهم مكامن التقدير، وإبراز غوامض الأمور، فلما انخرطوا في الغي والذنوب لم يتحصلوا على شيء من هذا، ومن سلك مسلكهم ألحقناهم في الإهلاك بهم[٤].

ومن أبرز مظاهر الجدل القرآني مع الخطابات الدينية السابقة، فقد فنَّد القرآن كثير من مجادلة الأمم السابقة من المخالفين، ومن ادعاءاتهم ومزاعمهم، فاتخذ الأسلوب القرآني من

---

(١) فضل، صلاح. ١٩٩٥م. شفرات النص دراسة سيميولوجية في الشعرية القص والقصيد. ط١. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. مصر، ص١١٢

(٢) سورة الأنعام، الآية، ٦

(٣) الطبري، محمد. ٢٠٠٠م، جامع البيان في تأويل القرآن. المحقق: أحمد محمد شاكر. (ط١). مؤسسة الرسالة. بيروت. (لبنان)، ١١/ ٢٦٣.

(٤) القشيري، عبد الكريم. ٢٠٠٧م. لطائف الإشارات. المحقق: إبراهيم البسيوني، ط٣. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر، ١/ ٤٦٢.

الأسلوب الاستفهامي نصًا مجادلًا حين قال لقريش: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[١]؟ فيما حدث لما سبق من أشياعكم فكان سبب هلكهم: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾[٢] فكان توجيهه سبحانه لمشركي قريش بأن أشياعكم من أهل الكفر من الأمم الماضية، وتكذيب رسلهم فأبهم سبحانه العذاب والعقاب الواقع عليهم واكتفى بتذكيرهم فهل من مدكر[٣] فاتعظوا فكم أهلكنا القرون التي كانت قبلكم، فكلّهم أمثالكم من بنى آدم فجرى عليهم العذاب[٤]، وهو من قمة الجدال والخطاب في القرآن.

وقيل: ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ تقع على من تشبه منهم في الكفر سواء كانوا من أتباعكم أو أعوانكم من الأمم الخالية. فأنها سنن ربانية في العذاب فإن كانوا أشباه أو أتباع وسلكوا مسلكهم فيستحقوا عقوبتهم [٥].

وحين سأل قوم فرعون: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٦]؟ بعد هلاكهم بالغرق فقال عز عز وجل: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٧].

فقد اعتمد القرآن على تذكير المخالفين بالمسكوت عنه حتى نزول الوحي، مما ورد في الآية ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[٨]، إذ كانت الأَنبياء تجيء إلى آبائكم بالآيات والعلامات فيكذبونهم ويقتلونهم وذلك من قبلكم فما علامة صدقكم أنتم، فهي سنن من آبائكم[٩].

---

(١) سورة القمر، من الآية، ٥١.

(٢) سورة القمر، من الآية، ٥١.

(٣) الطبري، ٢٢/ ٦٠٧.

(٤) القشيري، ٣/ ٥٠٠.

(٥) القرطبي، محمد. ١٩٦٤م. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢. دار الكتب المصرية. القاهرة. مصر، ١٧/ ١٤٩.

(٦) سورة القصص، الآية، ٤٠.

(٧) سورة القصص، الآية، ٤٠.

(٨) سورة آل عمران، الآيات، ١٨٣-١٨٤.

(٩) الماتريدي، محمد. ٢٠٠٥م، تأويلات أهل السنة. تحقيق: مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ١/٥١٠.

فذكرهم القرآن بأفعالهم مع أنبيائهم؛ ليستحضر المخالف تفصيلات مع وقع من أجداده مع أنبياء الله، يعني: زكريا ويحيى وغيرهما[١]، فيكون ذلك أبلغ في تصديق النبي (ﷺ)؛ لأنه لا يعلم ما ما كان منهم في السابق، ومن ثم، يكون قد أقام الحجة عليهم وفق منهج جدلي راقٍ يعيد تأويل وترتيب الأحداث من منظور يقوم على الحقائق.

كذلك، يأتي مجادلة النص القرآني في وقوع ما نقله عن النصارى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[٢]، فعمد القرآن إلى ترتيب الوقائع: الخلق، والولادة، وانبثاق الابن عن أب، وحاشا لله، وما كان من القرآن إلا أن نبه إلى أن أمور العالم لا تستقيم مع الشراكة في الألوهية، وأن المسيح وأمه (عليهما السلام) ليسا إلا بشرين آدميين من خلق الله تعالى وحده، يجري عليهما ما يجري على البشر جميعًا، واختار السياق القرآني (الإهلاك)؛ لأنه مما يقتنع به السامع الذي يجري عليه الموت لا محالة، فضلًا عن كون ولادة المسيح من غير أب هي من آيات الله الاستثنائية في الخلق.

وقد أورد السياق القرآني مجادلًا بالعقل ما يؤكد بشرية الابن والأم، وأنهما كانا يأكلان، ويدخلان إلى الخلاء، وهاتان صفتان تُنْفَيان عنهما الألوهية[٣].

من هنا، لن يكون من السامع سوى التفكير في مسألة الولادة والإهلاك، لاسيما الطريقة التي اختفى بها المسيح (عليه السلام)، وأنه ليس مخلصًا أو مكفرًا عن أحد؛ ليتيقن المتلقي أن لو كان المسيح هو الله، بزعمهم، لكان من الأولى أن يلي خلق آدم؛ ليكون الخلاص للبشرية جميعًا، وإلا لكان الأب والابن ظالمين؛ لأن الأمم السابقة بأسرها قد حُرِمت من الخلاص، وهو أدعى إلى تصديق الحجة القرآنية التي أقامها على المخالف عقلا قبل إخباره بها نقلًا.

المطلب الثاني: الجدل بوصفه آلية تفكيك رمزي:

عمدت نصوص القرآن إلى طبيعة جدلية خاصة، بتفنيد الشبهات وتفكيكها والرد عليها، أو الوقوف على الترميز لتلك الأقوال السالفة لأمم المخالفة، وهو ما اعتبره القرآن أسلوبًا للجدل

(١) السمرقندي، نصر. ١٩٩٣م، بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،، ١/٢٧٠.

(٢) سورة المائدة، الآية، ١٧.

(٣) الماوردي، علي. (دت). النكت والعيون. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (دط). دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ٢/٥٦.

ما ورد في قوله (ﷻ): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[١] فهذا خبر من الله (ﷻ) عن قوم من اليهود والنصارى أنهم قالوا هذا القول. أنهم من الله تعالى بمنزلة أبناءه ولهم من المنزلة والكرامة ما للآباء، وقد ذكر عن ابن عباس تسمية الذين قالوا ذلك من اليهود[٢] .

ففند القرآن تلك الفرية منهم أنهم أبناء الله مجادلة وحجة، وكان الاحتجاج الصريح في منزلتهم بالقرب المزعومة ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[٣]. فما قد وقع العذاب من الله إن كنتم أحباءه، فألجمتهم الحجة[٤]. ومن المفسرين من ذهب إلى أنه لتأويلهم ما في الإنجيل من قوله: (اذهب إلى أبي وأبيكم)، فقالوا لأجل ذلك ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[٥]. الثاني: لأجل قولهم في المسيح: ابن الله، وهم يرجعون إليه، فجعلوا نفوسهم أبناء الله وأحباءه [٦].

إذ نلاحظ اعتماد النص القرآني على هدم البنية المعرفية القائمة لدى أهل الكتاب، وإقامة أخرى جديدة؛ بناء على الاحتجاج بالمنطقي (تعذيب الكافرين)؛ لعدم استقامته مع المنطق ومجريات الأحداث. فتفرقت نصوص التفسير في نظرة تفكيكية لإثراء المنطق التفسيري للنص. كذلك، تجلت الثنائيات الهرمية التي ناقشها القرآن، ففضحت تناقضات عديدة مما يتعلق بالسلوكيات البشرية، في مجادلة الأمم السابقة، مما ورد في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٧]. إذ ارتبط الجدل القرآني في الآية بنسق ثقافي جائر، تمثل في عادة دينية لدى المشركين، فكانوا يقسمون الحرث بين شركائهم وبين الله بتساوي الأجزاء، بأنهم كانوا يجعلون نصيبًا لله من الحرث والأنعام بمكة، للمساكين، ويزعمون أن هذا لله، ويجعلون للآلهة نصيبا فإن لم يزكَ ما جعلوه للآلهة من الحرث والأنعام، فأخذوا ما جعلوه لله، قالوا لو شاء الله لأزكي نصيبه ولا يعطون المساكين شيئا مما زكى لآلهتهم[٨]. وعن ابن عباس أن أعداءَ الله كانوا إذا احترثُوا حرثًا، جعلوا لله منها جزءًا وللوَثَن جزءًا، وإن سبقهم الماء إلى

(١) سورة المائدة ، الآية، ١٨.
(٢) الطبري، ١٠/ ١٥٠.
(٣) سورة المائدة ، الآية، ١٨.
(٤) السمرقندي، ١/ ٣٧٩.
(٥) سورة المائدة، الآية، ١٨.
(٦) الماوردي، ٢/ ٢٣.
(٧) سورة الأنعام، الآية، ١٣٦.
(٨) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن. ١٩٩٩م. تفسير القرآن العظيم. المحقق: أسعد محمد الطيب. ط٣. مكتبة نزار مصطفى الباز. المملكة العربية السعودية، ١٣٩٢/٤.

الذي جعلوه للوثن، فسقى شيئًا جعلوه لله. جعلوا ذلك للوثن، وإن سقط شيء من الحرث والثمرة التي جعلوا لله. ولم يردوه إلى ما جعلوا لله(١).

وكان لتلك الممارسات أثرها في إرساء قاعدة مفادها أن الله تعالى ليس له شيء من الذبائح التي كان المشركون يحرصون على أن ألَّا تُمس في حق الأصنام، بينما يأكلون من نصيب الله إذا جاعوا، ومن ثم، فقد فضح القرآن هذه التناقضات التي علَّقوها بالعبادة، والتقرب إلى الله في الظاهر، بينما هم في حقيقة الأمر أبعد ما يكونون عن توقير الله وعبادته(٢). ولما كانت الأصنام هي نفسها وسيلة، في ادعائهم، للتقرب إلى الله، فقد فكَّك القرآن ذلك التناقض، إذ كيف يكون المتقرَّب به (الأصنام – الذبائح) أعلى وأعز قدرًا من المتقرَّب إليه (الله)، مما قصد به القرآن تأكيد أن الإذعان والانقياد لا يكونان إلا لله تعالى فحسب؛ لأن المستحق لذلك بلا شريك.

وتناول القرآن، على هذا الأساس، كشف التحيزات، بين ما هو (منطقي – لا منطقي)، مما ورد في قوله (ﷻ): ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾(٣) وتناولت الآيتان الكريمتان احتجاج قوم نوح (عليه السلام) على نبيهم، وتمثل هذا الاحتجاج في الطبقة المؤمنة التي اتبعت نبي الله نوحًا (عليه السلام) وكونهم من الضعفاء والمستضعفين أَرَاذِلُنَا، أي: يعني الرذالة من الناس السفلة وليس من اتباع الملأُ مِنا(٤) وهو ما يُفهَم منه ضمنًا احتياج معسكر الإيمان إلى السادة والوجهاء في القوم؛ ليلقى قبولًا، فيكون بذلك ثمة فجوة بين النظام المجتمعي الظاهر، والذي يردُّ سيادة الملأ، وهيمنتهم على المشهد، إلى تمايزهم على الضعفاء، واستحقاقهم لذلك، وهو ما فضح جوهر التناقض، وقامت المحاجة بكيف تتفاضلون في الآخرة وأنتم تنكرون التفاضل في الدنيا وهو من باب أولى لكم(٥).

---

(١) الطبري، ١٢ / ١٣٢

(٢) السمعاني، منصور. ١٩٩٧ م. تفسير القرآن. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط١. دار الوطن. الرياض. المملكة العربية السعودية، ١٤٧/٢، ينظر: البغوي، الحسين. ١٤٢٠هـ. معالم التنزيل في تفسير القرآن. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. (ط١). دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان، ٢ / ١٦٢.

(٣) سورة هود، الآيات، ٢٧ ـ ٢٨

(٤) الزجاج، إبراهيم. ١٩٨٨م. معاني القرآن وإعرابه. المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١. عالم الكتب. بيروت. بيروت. لبنان، ٤٧/٣.

(٥) الماتريدي، ١٢٠/٦.

وتمثلت آلية التفكيك الرمزي في كشف التحيزات للمعمول به (النظام المجتمعي السائد) على أساس يبدو منطقيًّا، ومن ذلك قوله (ﷻ): ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[١].

وتمثلت البنية المعرفية لدى قوم لوط (عليه السلام) في عدم شعورهم بأية غضاضة في الاعتداء على الضيف، مع المبادرة إلى ذلك ما أمكنهم، ومن ثم، فقد أسس هود لبنية معرفية جديدة، في قوله: هؤلاء بناتي، وكأنَّه يشير إليهم بما هو أطهر وهو التزويج[٢].

ولاكتمال الصورة لدى السامع، لجأ السياق القرآني إلى افتراض صحة رأي المتكلم، واحتياجه إلى الزواج، ومن ثم، أوجد له البدائل التي تتسق مع الفطرة (بناتي)؛ ليكون المخاطب على يقين بأن نبوة لوط (عليه السلام) تقف حائلًا أمام تشوق النفس البشرية إلى الزواج، وأن ثمة خللًا في التصور قد أصاب تصور المخاطب، وهو ما يسمح له بتفسير اللامعقول في إطار المعقول، وتبرير ما لا يُسمَح بعرضه في إطار العرض المسموح (الزواج بديلًا للفاحشة).

وفي سياق الجدل القرآني مع البنى الاجتماعية السابقة، تتجلى آلية التفكيك الرمزي في قصة لوط(عليه السلام) مع قومه، ليس فقط على مستوى السلوك الشاذ الذي أنكره عليهم، وإنما كذلك على مستوى البنية الأسرية نفسها، من حيث النظرة المجتمعية فلا تذلوني بأن ترتكبوا ما يكره الضيف[٣]، يقول: أليس منكم رجل ذو رُشد، ينهى من أراد ركوبَ الفاحشة من ضيفي، فيحول بينهم وبين ذلك؟

فالخطاب القرآني حين يُظهر أن امرأة نبي الله لوط كانت ضمن المنحرفين، فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم فأرسلت إلى أهل القرية[٤]، يضع المتلقي أمام إشكاليةٍ دقيقة تتصل بحدود القبول والرفض في علاقات النسب عندما تتعارض مع رابطة الدين.

المطلب الثالث: القرآن بوصفه خطابًا يُعيد تشكيل الذاكرة الدينية

يرتبط الجدل في القرآن الكريم بوسائل الوقاية الفكرية والنفسية، ومن ثم، فهو ذو منهج محدد يرسخ لملامح الذاكرة الدينية للمسلم، فالقرآن يحتوي على الأدلة العقلية التي في ظاهرها تقبلها الأذهان عند سماعها لأول مرة، وكأن العلم والسماع بالقرآن هو كامل العلم[٥]. مما ينبه أن القرآن

(١) سورة هود، الآية، ٧٨

(٢) الزجاج، ٦٧/٣.

(٣) الطبري، ١٥ / ٤١٧

(٤) ابن ابي حاتم، ٦ / ٢٠٦٣.

(٥) الغزالي، أبو حامد. ٢٠٠٥م. إحياء علوم الدين. ط١. دار المعرفة. بيروت. لبنان، ١ / ٣٣.

الكريم به من الأدلة العقلانية ما (تسبق الأذهان إلى قبولها)، فهو كتاب لا يناقض الفطرة الإنسانية؛ لأنه منزل من عند الله تعالى، العالم بالنفس البشرية، ومن ثم، فهو يرتبط بكل الأدلة البديهية التي نسبق الأفهام إليها، بحيث لا يتخلف فيها اثنان؛ كونها تدفع كل شبهة، وتحسم كل شك قد يتطرق إلى النفس.

ويأتي تفسير القرآن الكريم لما حاق بالأمم السابقة، من نكال وعذاب، في صدارة ما يسعى النص القرآني إلى التأسيس له، والبناء عليه، ومن ذلك قوله (ﷻ): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾(١).

يمارس الخطاب القرآني وظيفة مزدوجة في تشكيل الوعي التاريخي للمجتمعات؛ فهو من جهةٍ يستحضر ذاكرة الأمم السابقة ليعيد قراءتها وفق منطق غائي تُظهر الحكمة من العقوبة والعبرة من السقوط الحضاري؛ ففي الآيات التي تتناول سنن الله في الأمم الماضية، تتجلى هذه الوظيفة بوضوح؛ إذ تُقدَّم حكايات المكذبين لا بوصفها مجرد تسجيل لأحداث تاريخية، بل بوصفها إطارًا يعيد صياغة المفاهيم الدينية في ذهن المتلقي، متمحورًا حول الثواب والعقاب، والتكليف الإلهي، والانحراف عن منهاج الوحي.

ولذلك لا تأتي الإشارة إلى العقوبات التي لحقت بتلك الأقوام بصيغة تقريرية، بل بصيغة إنذارية مشحونة بالتحذير والوعيد، تؤسس لمسارٍ شعوري في وعي المخاطَب يجعله يستبصر المصير المنتظر إن هو أعرض عن هدي الوحي، وهذا البناء يعكس وظيفة الذاكرة في النص القرآني لا بوصفها خزانًا للوقائع، بل بوصفها أداة لإنتاج المعنى الديني وصياغة الموقف من الحاضر والمستقبل معًا، وهو ما تظهره بجلاء الطبري في تفسيره حين أشار إلى أن الله أخبر نبيه بأن ما سيحل بمن كذّب رسالته، هو امتداد لسُنّةٍ ماضية في المكذبين من قبله(٢).

وأكد السياق هذا المبدأ في قوله (ﷻ): ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣)؛ يشير القرآن الكريم إلى سنّةٍ ماضية في تعامل الأقوام مع رسلهم، حيث لا يقتصر التذكير بها على مجرد عرضٍ تاريخي، بل يُوظف في إطار حجاجي يؤسس لوعي متجدد حول الصراع الأبدي بين الوحي والهوى؛ إذ يَعرض الخطاب القرآني نمطًا متكررًا يُظهر كيف أن الشيطان يتكفل – في كل حقبة – بتزيين الضلال لمن أعرضوا عن دعوة

(١) سورة الأنعام، الآية، ٤٢.
(٢) الطبري، ١١ / ٣٥٤
(٣) سورة النحل، الآية، ٦٣

التوحيد، فتتكرر ظاهرة التكذيب، وتتجدد مفرداتها في كل أمة؛ ما يجعل من سرد هذه المواقف تذكيرًا بمآل من اختار طريق العمى، والمعنى هنا لا يُقدَّم بصفته حُكمًا على الماضي، بل تحذيرًا يتجاوز التاريخ ليصوغ علاقة المتلقي المعاصر بدعوته الحاضرة، فيفهم من خلالها أن الانحراف ليس حالة عابرة، بل منظومةٌ متكررة في التاريخ، يقودها الشيطان، ويغري بها النفوس، ويزينها بلبوس العادة والمألوف. فالتكذيب ليس مجرد موقف، بل خيار وجودي يُعيد إنتاج ذاته كلما تجدد النداء الرباني. ولهذا فإن النتيجة المترتبة على هذا الخيار لم تكن يومًا إلا الخسران في الدنيا والآخرة، وهو ما يلمح إليه المراغي عند تفسيره لهذه الآية(١)؛ فقد بنى القرآن، في الآية، بنية معرفية جديدة تربط السبب بالمسبب، وتشير إلى أن غواية الشيطان من الأسباب الأكيدة التي تنحرف بالمسيرة البشرية عن جادة الطريق الذي رسمه الوحي الإلهي، على النحو الذي يؤسس لبنية معرفية تزيل ما علق في وعي المتلقي من دلالات فكرية وعقدية؛ كون التدافع بين الحق والباطل من السنن الربانية.

وأسس القرآن لقضية الابتلاء والتمحيص، ومن ذلك قوله (ﷻ): ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٢).

وجاء القصص عن الأمم السابقة مما يرسخ لدى المتلقي ثقافة منفتحة على تعاليم الوحي الإلهي؛ كون الثقافة أكبر من النص ذاته، ومن ثم، فإن النص يرتكز على مردود فكري مجتمعي، بالإضافة إلى قدرته على عكس المفردات الثقافية للبيئة المحيطة ومحاكاتها، وتمثيلها في النص، وهو ما يؤهل المتلقي لتمثُّل العالم والكون.

كذلك، نبه القرآن إلى الطبيعة الفكرية لدى الأمم السابقة، والتي تؤكد أن مجادلة الأنبياء والمرسلين كان مما أدى إلى ابتلاء الله تعالى لهم، وهو ما ورد في مواضع عديدة، منها قوله (ﷻ): ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾(٣)، يكشف النص القرآني عن نموذج سلوكي متكرر، يتمثل في لجوء الكافرين إلى القسم والتعهد بالامتثال لدعوة الحق، وهو سلوك ظاهري ينطوي على تناقض جوهري بين القول والعمل؛ فقد أظهرت بعض الأمم – كما المشركين في عهد الرسالة – استعدادًا ظاهريًا لقبول دعوة الرسل، بل وأقسموا على ذلك، غير أن استجابتهم حين جاءهم النذير لم تتجه نحو الإيمان، بل

(١) المراغي، أحمد. ١٩٤٦م. تفسير المراغي. ط١. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. القاهرة. مصر، ١٤ / ١٠٠

(٢) سورة الاعراف، الآية، ١٦٨

(٣) سورة فاطر، الآية، ٤٢

انقلبت إلى جحود أشدّ ونفور أبلغ؛ وهنا تتجلى الوظيفة الجدلية للنص القرآني في فضح التناقض بين القسم الذي يُفترض فيه تعزيز الالتزام، والفعل الذي جاء نقيضًا له تمامًا، إن رد الفعل الذي تضمنته الآية لا يحمل فقط دلالة على خيبة أمل، بل يرصد كذلك تحوّل القسم من كونه علامة على استعداد للإيمان إلى كونه قرينة على المكابرة والكبر والاستعلاء على الحق، وقد نوّه مكي بن أبي طالب إلى أن هذا القسم لم يكن عن إخلاص، بل عن استكبارٍ ورفضٍ باطني للنبوة، تجلّى بوضوح عندما جاءهم النذير(١).

المبحث الثَّاني: التناص التفسيري بوصفه مفتاحًا للجدل بين النصوص

المطلب الأول: حضور النصوص السابقة في التفسير بالمأثور

كان جمهور الصحابة والتابعين والأئمة يصدرون مسمى التفسير بالتفسير بالمأثور، وكانوا يبتعدون كل البعد عن القول في القرآن بالرأي، كما فعل ذلك إمام المفسرين ابن جرير الطبري بإيراد المأثور من الأقوال في الآية، ويرجح بعضها على بعض بقوة السند. (ابن سليمان، ٢٠٠٢، ١٥/٥).

وقد أورد القرآن قصص تنتمي إلى الأمم السابقة، سعى فيها مسعى جدليًّا؛ بواسطة إبطال بعضها، وتصحيح البعض الآخر، أو مناقشة بعض التفصيلات التي وردت في ثنايا تلك القصص. من هنا، فقد حضرت النصوص السابقة في تفسيرات بعض المفسرين، وروايات بعض الرواة، لا سيما الذين أسلموا من أهل الكتاب، ووقفوا على روايات واردة بالتوراة، مما سكت عنها النص القرآني، فلم يبطلها، ولم يرجحها.

ومن ذلك ما تعلق بالنبوات، كنبوة سليمان (عليه السلام) وما دخل في تفسير الآيات التي تناولت قصته من إسرائيليات، ومن ذلك قوله (جل جلاله): ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾(٢). كانت فتنة سليمان (عليه السلام) بأن ألقى على كرسيه شيطان متمثل في جسد إنسان قيل: هو صخر بن عفير أو حبقيق، ويقال: إن إبليس جده، وقعد على كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهنّ، فكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني أطعموني أنا سليمان، فيكذّبونه، أي: رجع بعد أربعين يومًا إلى ملكه وسلطانه(٣). وقد وردت عديد من التفصيلات في ثنايا كتب التفسير، منها أن

---

(١) مكي بن أبي طالب، حَمّوش. ٢٠٠٠م. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية– جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي. ط١. مجموعة بحوث الكتاب والسنة. الشارقة. الإمارات، ٩ / ٥٩٩٢

(٢) سورة ص، الآية، ٣٤.

(٣) ابن سليمان، مقاتل، ٦٤٤/٣، ينظر الطبري: ٢١/ ١٩٦.

الشيطان قد احتال على سليمان (عليه السلام) فأخذ منه خاتمه، فبطلت نبوته، وصار غريبًا لا يعرفه الناس، حتى زوجاته، وأن قد سقط خاتمه، فالتقمته سمكة، ثم وجد السمكة، وعاد إليه ملكه ونبوته(١).

وقد اعتمد المفسرون على إيراد تلك الروايات، وتناقلوها في كتبهم، من دون التروي والتحقق منها، وهو ما يمثل تناصًّا في التفسير بالمأثور أو حضور بعض الروايات التي يعتمد عليها المفسر، أو يكتفي بإيرادها على الأقل.

ونحن لا نشك في أن هذه الخرافات من أكاذيب بني إسرائيل، وأباطيلهم، وأن ابن عباس وغيره تلقوها عن مسلمة أهل الكتاب"(٢)، كما يرى الباحث؛ لأن النبوة اصطفاء من الله تعالى، ومن ثم، فهي لا تقوم على خاتم أو قلادة أو خلافه، ولقد سُحر النبي (ﷺ) ولم تزُل نبوته، فضلًا عن أن رواية ابتلاع السمكة للخاتم، أقرب ما تكون إلى القصص الأسطورية التي تنتمي إلى التراث الشعبي.

ومن ذلك ما ورد من إسرائيليات في قصة مرض نبي الله أيوب (عليه السلام) والتي وردت في مواضع كثيرة، منها قوله (ﷻ): ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(٣).

إذ أورد المفسرون روايات كثيرة عن سبب المرض (لا أصل لصحتها) إلا أن ما يلفت النظر هو سبب اليمين بضرب أيوب لزوجته، فتدعي بعض الروايات أن إبليس طلب من الزوجة أن تكف عن ذكر الله فيعافي زوجها، وهو من التناص بالرواية، وذكرها كثيرون.

فكان للسياق القرآني، في آيات لا تُحصى، ما يشير إلى قدرات إبليس التي ليس منها الشفاء، وأن له التزيين والإغواء، واستجلاب ما يفتن المؤمن عن ربه، ناهيك عن أن يضل زوجة نبي، وهي ممن لم ينص على ضلالهن القرآن، كزوجة نوح (عليه السلام)، ولوط (عليه السلام)، فكيف أن إبليس يستدرج زوجة نبي الله أيوب؟ وهم لا يرضون ذلك عن زوجة كانت، وهو مما لا يساغ عندهم فكيف يرمون به زوجة نبي(٤).

---

(١). ابن أبي زمنين، محمد. ٢٠٠٢م. تفسير القرآن العزيز. تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة/ محمد بن مصطفى الكنز، ط١. الفاروق الحديثة. القاهرة. مصر، ٤ / ٩٠.

(٢) أبو شُهبة، محمد. (د ت). الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. ط٤. مكتبة السنة. القاهرة. مصر، ٢٧٢.

(٣) سورة ص، الآية، ٤٤.

(٤) القرطبي، ١٥ / ٢٠٩.

فدل كثير من الآيات التي تعارض هذه الرواية على أن القرآن محكم لا ينقض بعضه بعضًا، على النحو الذي يتعلق بمنهجية جدلية متميزة، فوردت رواية تناقلتها كتب التفسير في قوله (ﷻ): ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(١).

من اللافت في بنية التفسير بالمأثور أن تتخللها أخبار ذات طابع عجائبي، لكنها تؤدي وظائف تأويلية وأخلاقية دقيقة، منها ما رُوي عن موسى (عليه السلام) في حادثة الحجر الذي فرّ بثوبه، حتى بدا جسده لبني إسرائيل، وهذا الخبر – على غرابته الظاهرة – لا يُفهم على المستوى الحرفي المجرد، بل ينهض بوظيفة تبريرية تنفي تهمة أُلصقت بنبي من أولي العزم، وقد شاعت بين قومه حتى كادت تتحول إلى معتقد مشين، ويُلاحظ أن هذا النص المأثور يستدعي تراثًا سرديًا موازيًا يتقاطع مع البنية الجدلية التي يحملها الخطاب القرآني نفسه، حين يردّ الشبهات بالعرض العملي والبرهان القاطع؛ وهنا لا تُقرأ الواقعة بوصفها خبرًا خارقًا فحسب، بل على أنها بيان لسُنّة إلهية في نفي التهمة عن أنبيائه بطريقة تثبت للناس براءتهم بالحس والمشاهدة، وهي آلية حجاجية تقوم على البرهان العملي الذي يفوق في أثره الجدل النظري؛ ومن ثمّ فإن حضور هذا الخبر في مدونات التفسير بالمأثور لا يُعدّ زيادة سردية، بل امتدادًا للوظيفة الدفاعية التي يحملها النص القرآني في مواضع مماثلة؛ ما يكشف عن إدراك مبكر لأثر الشائعة في تشويه الوعي الجمعي، وضرورة تفنيدها بالأدلة الملموسة(٢).

فكان مطعن بني إسرائيل على نبي الله موسى (عليه السلام) أنه آدر(*)، فكان ما اتهمه به بنو إسرائيل، من رواية، مما أورده البخاري(٣) إلا أن تأويل اغتسال بني إسرائيل وهم عراة يتكشف بعضهم على بعض فيه نظر، وقد يكون ذلك قبل أن يذهب موسى، عليه السلام؛ ليأخذ الألواح التي فيها وحي الله وشريعته.

قد حضرت النصوص السابقة في مدونات التفسير بالمأثور بوصفه وسيلة تفسيرية أو توسيعًا للمعنى المأثور، فإن هذا الحضور من اللزوم بمكان فتلك الأمم في حكم الغيب على أمة محمد الذي نزل عليها القرآن، فكان لابد من إيراد نصوص المأثور بقصص وأحوال تلك الأمم وسبب

(١) سورة الاحزاب، الآية، ٦٩

(٢) الكرماني، محمود. (٢٠٢٠). غرائب التفسير وعجائب التأويل. (دط). مؤسسة علوم القرآن. بيروت. (لبنان، ١ / ١٤٣

(*) يقال: أدِرَ الرجل يأدَر، إذا امتلأ صفن خصييه من الريح. (ابن دريد، ١٩٨٧، ١٠٩١/٢).

(٣) البخاري، محمد. (١٤٢٢هـ). صحيح البخاري. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط١). دار طوق النجاة. بيروت. لبنان، حديث برقم (٢٧٨)، ١ / ٦٤

هلاكهم في الدنيا بالعذاب أو في الآخرة ومن تلك الأمم: قوم هود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، الذين أهلكهم الله في الدنيا بالعذاب بعد قوم نوح مما لا تشهدها أمة محمد ولم تعلمها إلا بوحينا إليك ما كنت تعلمه(١).

ففي التفسير بالمأثور جاءنا نبأ أهل الكهف والرقيم، بذكر عظامهم فعن معمر وقتادة وابن عباس أن عظامهم مر عليها أكثر من ثلاثمائة سنة(٢)، أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبا، فليسوا بأعجب آياتنا، وما فيهنّ من العجائب إنما لحجتي على هؤلاء المشركين من قومك، وغيرهم من سائر عبادي، بالإحياء بعد الإماتة في كهف الجبل بقرية أو وادٍ اسمه الرقيم بالقرب من أيلة فلسطين(٣).

وتحدث الآثار في التفسير عن هلاك قوم عاد وأصحاب الرس فإنهم كانوا قوما كذبوا رسلهم قتلوا نبيهم ورسولهم في بئر لهم يسمى الرس، فأهلكهم الله(٤).

وذكر أصحاب الأيكة و"الأيكة"، هي الغيضة من الشجر الملتف المجتمع، وهم قوم شعيب كانوا أصحاب رياض وشجر ملتف وكانوا يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة وفي الشتاء اليابسة وكان عامة شجرهم الدوم، فكان أصحاب الغَيْضة بالله كافرين، وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والميزان(٥).

المطلب الثاني: التحول من التناص التفسيري إلى التناص الجدلي

كثيرًا ما انتقل المفسرون من التناص التفسيري الذي يكتفي بإيراد أقوال المفسرين في الآية محل التفسير إلى التناص الجدلي؛ لإدخال ما يرجحونه من الأقوال الواردة، أو لردها جميعا، والقول بما يراه المفسر أنسب لسياق الآية.

فنجد على سبيل المثال مسألة الحروف المقطعة في أوائل السور فسروها بأقوال متضاربة وصلت إلى الجدال فيها والتعقب

(١) ابن سليمان، ٢ / ٢٨٤

(٢) عبد الرزاق، بن همام. ١٤١٩هـ. تفسير عبد الرزاق. تحقيق: محمود محمد عبده، (ط١). دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ٢/ ٣٢٤

(٣) الطبري، ١٧/ ٦٠١.

(٤) السمرقندي، ٢/ ٥٣٩.

(٥) الطبري، ١٢ / ٥٦٦، ينظر: الثعلبي، أحمد. ٢٠٠٢م. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. تحقيق: أبو محمد بن عاشور، ونظير الساعدي. ط١. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان، ٥ / ٣٤٧

فمنهم من ذهب إلى أن هذه الحروف المقطعة ذكرت للتحدي والجدل مع أهل التأويل ببيان إعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن مع أن تلك الحروف هي التي يتركب منها كلمات القرآن نفسها لتي يفسرونها إلى أنهم عاجزون أمام هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقد لاحظ أصحاب هذا الرأي أن فواتح السور مكونة في جملتها من أربعة عشر حرفا إنما جاءت على نصف حروف المعجم(١).

الحروف المقطعة نحو: ﴿الم﴾(٢) ﴿المص﴾(٣) و﴿الر﴾(٤)، ﴿المر﴾(٥)، فالألف مقتضيةٌ معانيَ كثيرةً، منها تمامُ اسم الربّ "الله"، وتمامُ اسم نعماء الله التي هي آلاء الله. واللام مقتضيةٌ تمامَ اسم الله اللطيف، وتمامَ اسم فَضْله الذي هو لُطفٌ. والميم مقتضيةٌ تمامَ اسم الله المجيد، وتمامَ اسم عظمته التي هي مَجْد.

فأراد الله تعالى الدلالة بكلّ حرف منها على معان كثيرة لشيء واحد – لم يَجُز إلا أن يُفرَد الحرفُ الدالُّ على تلك المعاني، ليعلمَ المخاطبون به أنّ الله عز وجل لم يقصد قصد مَعنًى واحدٍ ودلالةٍ على شيء واحد بما خاطبهم به، وأنه إنما قصد الدلالةَ به على أشياء كثيرة(٦). وقيل: إن سره في القرآن هو الحروف المقطعة. فالحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر أو هو اسم من أسماء الله تعالى، فرقت حروفه في السور. يعني أن هاهنا قد ذكر "الر" مع "حم" في موضع مع "ن" في موضع، فإذا جمعت يكون "الرحمن"(٧).

ولم يكن التناص التفسيري بمنأى عن النقد من داخل حقل التفسير نفسه، فقد تصدى له جملة من العلماء المحققين، ممن لم يكتفوا بإيراد الروايات، بل عالجوها بمعايير دقيقة تمتحن صدق النقل في ضوء نصوص القرآن المحكمة ومقاصده الثابتة، وقد كان من أبرز هؤلاء عبد الجليل شلبي في تحقيقه لكتاب "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج، حيث علّق على قصة الغرانيق التي شاع تداولها في التفاسير القديمة، بأنها من الروايات الموضوعة التي تتعارض صراحة مع ثوابت الوحي ومقتضى العصمة النبوية، وقد استدل المفسرون المحققون ببراهين عقلية ونصوص قطعية، وتُظهر هذه المقاربة أن التناص الجدلي لا يُقبل إلا بعد عبوره من ميزان التحقيق العلمي الذي يجمع بين

(١) ابن سليمان، ٥ / ٢٠٣.
(٢).سورة البقرة، الآية، ١.
(٣) سورة الاعراف، الآية، ١.
(٤) سورة يونس، الآية، ١.
(٥) سورة الرعد، الآية، ١.
(٦) الطبري، ٢١٥/١.
(٧) السمرقندي، ٢١/١.

سلامة السند ومتانة المعنى وموافقته لقطعيّات النص، وهو ما يفرض على الباحث اليوم ألا يقف عند حدود جمع الروايات، بل يشارك في تمحيصها وبيان مراتبها(١).

فكان ذلك التعقيب مما يمثّل التناص الجدلي الذي لا يسلم بصحة روايات تناقض ظاهر القرآن؛ لأن قبولها يمثّل مطعنًا في أمانة التبليغ.

ومن الموضوعات التي تجلّت فيها الرؤية النقدية في التفسير، ما أورده الطاهر بن عاشور في تفسيره لآية نزع اللباس عن آدم وحواء: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٢)، فقد تعامل ابن عاشور مع مفهوم "اللباس" بميزان دقيق يراعي مقتضيات السياق ومرونة التعبير القرآني، حيث أشار إلى إمكانية حمله على معناه الحقيقي، أي: ستر ماديّ من الله (ﷻ) يغطي عورتيهما، لكنه لم يغفل عن نقد الروايات التي جعلت من هذا اللباس نورًا أو طبقة من قشر شفاف كالأظفار، معتبرًا إياها غير صحيحة ولا تنهض دليلًا قاطعًا في التفسير، بل إن ابن عاشور يميل إلى أن التعبير عن نزع اللباس جاء تمثيلًا لحالة الانكشاف النفسي والمعنوي التي وقعت بعد المخالفة، أي أن "نزع اللباس" ليس تصويرًا ماديًا بقدر ما هو صورة بلاغية تُجسّد التحول من حالة الطهارة الفطرية إلى الشعور بالذنب والانكشاف(٣). فتمثّل التناص الجدلي في رفض ابن عاشور لبعض الروايات التي تفسر اللباس بغير مسماه الحقيقي، وهو الأنسب لسياق الآية، والأبلغ في التعبير عن انكشاف السوءة، ولا يمكن أن يكون دالًّا على غير ذلك من قشر الظفر(٤)، أو غير ذلك.

ومن الروايات التي أثرت في تشكيل الوعي الديني حول قصة السقوط الأول، ما أورده مكي بن أبي طالب في تفسيره، حيث يشير إلى أن آدم وحواء حين أكلا من الشجرة زال عنهما لباس النور الذي كساهما الله، فانكشفا لأنفسهما، وتولّد عن هذا الانكشاف شعور حي بالحياء، دفع آدم إلى الفرار والاستتار بأوراق الجنة، حتى خاطبه ربه نداءً يحمل بُعدًا تأديبيًّا: «أفرارًا مني يا آدم؟» فجاء رد آدم يحمل أسمى معاني الندم والحياء: «بل حياء منك يا رب»، الهداية الى بلوغ النهاية(٥)، وفي هذا النص، تتجلى دلالة رمزية بليغة للّباس، بوصفه حالة وجودية وفطرية أكثر من

(١) الزجاج ٣ / ٤٣٤.
(٢) سورة الاعراف، الآية، ٢٧.
(٣) ابن عاشور، محمد. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. (دط). الدار التونسية للنشر. تونس، ٨ / ٧٨.
(٤) ابن ابي حاتم، ٥ / ١٤٥٠.
(٥) مكي بن أبي طالب، ٢٣٨/١.

من كونه سترًا ماديًا. فهو نور معنوي يدل على صفاء الطبع وقرب العبد من ربه؛ ولذلك فإن زواله يعكس أول انكسار داخلي يحدث بفعل المعصية، كما أن موقف آدم يعكس تربية القرآن على الحياء الرباني، الذي يرقى إلى ما فوق الخوف العقابي، ويتجاوز مفهوم العقوبة إلى الاعتراف الطوعي بالذنب بدافع الشعور بالحياء من الوقوف على خطأٍ في حضرة المولى (ﷻ)، وهذا التصور الذي تصوغه الرواية، يؤسس لبعدٍ أخلاقي في تلقي قصة آدم، لا يركّز فقط على العقوبة، وإنما يفتح باب التوبة من خلال الاعتراف والحياء، وهي قيمة أخلاقية مركزية في التربية القرآنية، تتكرر في مواضع أخرى، وتشكل أحد المعايير في العلاقة بين العبد وربه.

والذي يراه الباحث هو ما أورده مكي بن أبي طالب؛ فاللباس هنا هو النور أو الإيمان الذي جلَّل آدم (عليه السلام) وحواء في الجنة؛ لدلالة قوله (ﷻ): يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا، من الفتنة والإغواء، ودلالة يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا على نزع مجازي؛ لأن الغواية تسببت في سقوط عقد القلب من الطاعة والامتثال لأمر الله تعالى، فيكون الفعل من باب التجوز عن السبب بالمسبب؛ لأن الشيطان سبب الفعل، وهو النزع.

وعلى ذلك جاء قوله (ﷻ): ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[1]، فتَّجوز السياق القرآني عن السبب، وهو العذاب، بالمسبب، وهم السادة الذين أغووا الضعفاء، فكانوا كأنهم قدموه وتسبب في العذاب لهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، تبرز دلالة «البيت» بوصفه فضاءً محوريًّا في لحظة الانهيار الاجتماعي والخوف، فقد كان بنو إسرائيل يعانون الاضطهاد والاستضعاف، وكان التوجيه الإلهي إلى اتخاذ بيوتٍ لا بوصفها مواضع عبادة فقط، وإنما باعتبارها معاقل للهوية ومراكز للتماسك العقدي في وجه التهديد الخارجي، وقد انتبه ابن عاشور إلى اضطراب الروايات في تأويل معنى البيوت، فبيّن أن القول بأنها مساجد لا ينسجم مع السياق، خاصة أن أمر الخروج من مصر كان وشيكًا، وأن التوجيه ببناء المساجد لا يكون في ظرف ارتحال واضطراب، وإنما في سياقات الاستقرار. وبدلًا من ذلك، رجّح ابن عاشور كون البيوت المقصودة هي خيامًا ومظالّ أمروا باتخاذها تهيئة للخروج، وتجهيزًا نفسيًّا ولوجستيًّا للانتقال المنتظر، مع جعلها قبلة أي مواضع يقبلون عليها في الصلاة، كنوع من توجيه البوصلة الروحية نحو التوحيد في ظرف الهلع والضعف؛ وهنا يمكن أن نقرأ التوجيه الرباني بإنشاء البيوت وإقامتها قبلة في ضوء البنية الرمزية للبيت في

(١) سورة ص، الآية، ٦٠.

(٢) سورة يونس، الآية، ٨٧.

القرآن، فهو ليس مجرد مكان للإقامة، بل رمز للحماية والانتماء وإعادة ترتيب الوجود في لحظة الانهيار، ليكون البيت هو نقطة الاسترداد الأولى للذات الجماعية. بهذا التوجيه، يتحول البيت إلى ما يشبه المحراب الرمزي الذي تُستعاد فيه الهوية العقَدية في وجه التغريب الفرعوني.

ونلاحظ رد ابن عاشور الروايات التي وردت في تفسير هذه الآية، واحتج بأن حال القوم يومئذ لم يكن ملائمًا لاتخاذ مساجد أو دور عبادة، ورجَّح أنها خيام تناسب حالة الترحال التي كانوا يستعدون لها(١).

واعتمد الترجيح على عدم الاكتفاء بالتناص التفسيري، والانتقال منه إلى التناص الجدلي، والاحتجاج على الوارد بتصور المفسر لحالة المرتحلين يومئذ.

ويتفق الباحث مع ترجيح ابن عاشور؛ كون موسى وهارون (عليهما السلام) وبني إسرائيل، على أهبة الاستعداد للفرار من فرعون مصر، ومن ثم، كان التجمع في خيام وأخصاص، في أماكن موحدة، مما يلزم تلك الرحلة، فكانت البيوت دالة على مسماها الحقيقي من الخيام والأخصاص، أو قصد به السياق القرآني الأماكن التي يتجمع فيها الفارُّون؛ استعدادًا للهروب، فيكون ذلك من باب التجوز بالمحل عن الحالِّ فيه.

المطلب الثالث: جدل التأويل وحدود التناص في التفسير المعاصر

للتفسير قواعد تعرف عليها منذ نشأة هذا العلم الجليل، فقد أكد مجدي باسلوم (محقق تفسير الماتريدي) أنَّ علم التفسير ارتكز – في جذوره الأولى – على المأثور بوصفه المرجعية المؤسسة للمعنى القرآني؛ إذ يُعدّ ما ورد عن النبي (ﷺ) وصحابته الكرام من أقوالٍ وتفسيرات، كابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة وقتادة والسدي من التابعين، الأساس الذي انطلقت منه حركة الفهم القرآني، غير أن هذا الارتكاز، على رسوخِه وأصالته، فتح بابًا للجدل التأويلي في العصر الحديث حول مدى قدسية المأثور وحدود سلطته التفسيرية، خاصةً في ضوء تطوّر مناهج القراءة وتنامي الوعي بالنص بوصفه فضاءً حواريًّا مفتوحًا؛ فالمفسر المعاصر يقف أمام سؤالٍ حرج: كيف يمكن الوفاء لسلطة المأثور دون الوقوع في أسرها؟ وكيف يمكن توظيف آليات التناص التفسيري لفهم كيفية تشكّل الدلالة القرآنية عبر التفاعل بين النص الإلهي والنصوص السابقة واللاحقة، دون المساس بمرجعية الوحي؟

(١) بن عاشور، ١١ / ٢٦٥.

إن هذا التوتر بين الثبات والتأويل هو ما يشكّل جوهر الجدل التأويلي في التفسير المعاصر، حيث لا يُنظر إلى التناص بوصفه تقاطعًا نصيًّا فحسب، بل بوصفه حركة تأويلية تُعيد بناء المعنى في كل قراءة جديدة.

استمرت هذه القواعد حتى أواخر القرن التاسع عشر، وبمجرد أن ظهرت تيارات فكرية استهدفت تقديم رؤى تفسيرية معاصرة للقرآن الكريم؛ لتكون أبلغ في التأثير في المجتمعات الغربية، وتبنت هذه المدرسة ما يُعرف بـ(الألسنية) أو المنهج البنيوي لفهم القرآن، ومنها مناهج: التاريخانية، والبنيوية، والمنهج الجدلي وغيرها[١].

فهذه قضية متشعبة، حيث إن المناهج التفسيرية الجديدة إذا أتت بمعنى جديد ويُزعم أنه خفي على سلف الأمة وعلى التفسير بالمأثور فهذا يضع سلف الأمة وعلمائها في إشكال كبير، فلا ريب أن هذا غير ممكن، ولاسيما إن كانوا أصحاب هذه التفسيرات غرباء عن ميدان الدراسات الشرعية، في حين أننا لا نقول بوضع الأغلال على الأبنية الاجتهادية السابقة للتفسيرات القرآنية، فليست هي نهاية المطاف، ففيها محاصرة للنص القرآني وقصر فهمه على العصور السالفة، فهذه الفرية أيضًا تسقط عن القرآن صفة الخلود الزماني، وسنتحدث عن محاولات تفسيرية معاصرة ناجحة لم تجنح إلى الهرطقة مع ضبط القواعد من منظور أصولي.

فنجد فيصل ابن حمد المبارك الحريملي (ت١٣٧٦هـ) في تفسيره «توفيق الرحمن في دروس القرآن» تحدث عن النسخ وفرّق بين النسخ عند المتقدمين: إزالة بعض الأوصاف من الآية بآية أخرى، إما بانتهاء مدة العمل، أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر، أو بيان كون قيد من القيود اتفاقيًا، أو تخصيص عام، أو بيان الفارق بين المنصوص، والمنسوخ باصطلاح المتأخرين من نسخ حكم ونسخ تلاوة[٢]. فنقل كثيرًا عن ابن كثير وحرر أقوال ابن عباس والسدي وغيرهم من السلف.

قد تجاوز التفسير المعاصر التفسير التراثي للقرآن من مناهج وأدوات تحليلية، بوضع نظرية معاصرة للتفسير الأمثل للقرآن الكريم باستحضار رؤية متوازنة للنتاج التفسيري المعاصر والتراثي، تكون غايتها معرفة مراد الله (عز وجل) من كلامه دون أدنى إسقاط ذاتي من المفسر على عصره من خلال اختلاف أسلوب المعرفة، فالفكر التحليلي قد يبنى حضاريًّا في عصرنا الراهن على

(١) الماتريدي، ١ / ٢٥٥

(٢) الحريملي، فيصل. (١٩٩م. توفيق الرحمن في دروس القرآن. حققه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد. (ط١). دار العاصمة. الرياض. المملكة العربية السعودية، دار العليان للنشر والتوزيع. القصيم – بريدة. المملكة العربية السعودية ١ / ٥٣

معالجة الكثرة ارتدادًا بها إلى الوحدة، وربط الظواهر ضمن علاقاتها الجدلية بإطارها الموضوعي(١).

فنجد أن التفسير اتجه إلى التحليل أكثر من النقل عن المأثور كما وضح مثلًا في قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾(٢)، فالكلام فيه استئناف لبيان ما توعدهم الله به وكونه مما سبقت به سنته في المكذبين من أقوام الأنبياء، والتفسير: ألم يعلم هؤلاء الكفار المكذبون بالحق كم أهلكنا من قبلهم من قوم أعطيناهم من التمكين والاستقلال في الأرض وأسباب التصرف فيها ما لم نعطهم هم مثله، ثم لم تكن تلك المواهب والنعم بمانعة لهم من عذابنا لما استحقوه بذنوبهم ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾(٣)؟ لا هذا ولا ذاك، فإما الإيمان وإما الهلاك(٤). ثم إنه مع اتخاذ اتجاه التفسير التحليلي لم يعدم التناص التفسيري فقد نقل عن الزمخشري والراغب الأصفهاني من تفسيرهما، يقال: مكنه في الأرض أي أثبته فيها، ومنه (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) كذا في الكشاف. وقال الراغب: "أصل الرسل الانبعاث على التؤدة"(٥)، أما المراغي فاتجه إلى التفسير التحليلي دونما نقل عن المأثور، لكنه بعد التحليل التفسيري للآية أنزل الآية على القوم المعاصر لهم ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾(٦)، وهؤلاء القوم الذين يخلفون من نزل بهم عذاب الله لا بد أن يخلفوا عنهم ما كان على صفاتهم، وفى المشاهدة أكبر دليل على صحة ذلك. انظر إلى ما فعلته الحرب العالمية الثانية في نفوس الشعوب في الشرق والغرب، فإنه قد نشأ بعدها من الحوادث الجسام في مستقبل الأمم والشعوب، ولا ما سيكون لها من التأثير في النظم الاجتماعية والاقتصادية والصلات والروابط بين بعض الأمم وبعض(٧).

التفسيري دون أن يصرح بنقله وهو ما أبرز تفسيره وأغناه فقال في تفسيره لآية السابقة: والرؤية يجوز أن تكون قلبية، أي ألم يعلموا كثرة القرون الذين أهلكناهم، ويجوز أن تكون بصرية

(١) الماتريدي، ١ / ٢٨٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية، ٦.
(٣) سورة القمر، الآية، ٤٣.
(٤) رضا، رشيد. ١٩٩٠م. تفسير المنار. ط١. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر، ٢٥٦/٧.
(٥) رضا، ٢٥٦/٧.
(٦) سورة الأنعام، الآية، ٦.
(٧) المراغي، أحمد، ٧ / ٧٦.

بتقدير: ألم يروا آثار القرون التي أهلكناها كديار عاد وحجر ثمود، وقد رآها كثير من المشركين في رحلاتهم، وحدثوا عنها الناس حتى تواترت بينهم فكانت بمنزلة المرئي وتحققتها نفوسهم. وعلى كلا الوجهين ففعل يروا معلق عن العمل في المفعولين أو المفعول، باسم الاستفهام وهو كم[1].

خلاصة القول إننا نجد أن حدود التناص في التفسير المعاصر، كانت بالقدر الأكبر رغم اتجاههم إلى التفسير التحليلي، إلا أنهم لم يخرجوا عن المألوف في اللغة والمأثور، ولا شك في ابتكار أحدهم باجتهادات وتنزيل التفسير على الواقع المعاصر له.

الخاتمة

انتهينا من تناول موضوع البحث الموسوم (الجدل القرآني مع الخطابات الدينية السابقة مقاربة في ضوء نظرية التناص التفسيري)، وقمنا بدراسة التناص المكشوف، والجدل بوصفه آلية تفكيك رمزي للنص القرآني، كما أوردنا مسألة القرآن بوصفه خطابًا يُعيد تشكيل الذاكرة الدينية.

وناقشنا التناص التفسيري بوصفه مفتاحًا للجدل بين النصوص، بحيث حضرت النصوص السابقة في التفسير بالمأثور، مع بيان كيفية التحول من التناص التفسيري إلى التناص الجدلي، واختتمنا بمناقشة جدل التأويل وحدود التناص في التفسير المعاصر.

- **النتائج:**

١. حضر التناص المكشوف في النص القرآني من منظور مناقشة الأقوال الواردة في قصص الأمم السابقة، لاسيما في سياق دعوات أنبياء الله تعالى لأقوامهم، على النحو الذي عكس حالة من الجدال بين فريق الإيمان والكفر.
٢. برزت آلية التفكيك الرمزي في القرآن في مواضع عديدة، عمد فيها النص القرآني إلى كشف التحيزات والصراعات التي جادل بها الأمم السابقة.
٣. يتميز النص القرآني بقدرته على تشكيل الذاكرة الدينية، منظورات: الخلق، الوحي، النبوة، مما برز في سياقات: الأمم السابقة ونقاشاتهم مع أنبيائهم، وربط خلق الكون بالثواب والعقاب، وغير ذلك من المرتكزات الدينية والعقدية.
٤. يشير التحول من التناص التفسيري إلى الجدلي للتحول من الاكتفاء بإيراد الروايات في كتب التفسير إلى نقدها وتمحيصها، وترجيح الرأي الصحيح منها.
٥. تعلق هذا التحول في مواضع وروايات عديدة، وهو ما وردت فيه آراء نقدية من المفسرين المحققين، مما نقل حالة الجدل القرآني من طور الرصد إلى النقد.

(١) ابن عاشور، ٧ / ١٣٧

٦. ظهرت مدرسة معاصرة للتفسير تعرف بـ التفسير التحليلي، واعتمدت على آليات مختلفة لتفسير النص القرآني، بتحليله وشرحه، لكن على أساس لغوي ولا يخالف المأثور أيضًا، لكنه كشف عن أسلوب مغاير.

٧. تحليل النص القرآني غير منغلق على ذاته، ومن ثم، فتأثره بالقرائن الخارجية، كأسباب النزول أو الأحاديث الواردة في هذا الصدد.

٨. ينضج التفسير التحليلي بما يتفق مع قواعد التفسير المتعارف عليه، والتي لا يمكن تجاهلها لتحليل النص، والإلمام بجميع قواعد التفسير التي تضمن فهم مقصد الشارع سبحانه حيث لا تخرجه عن إطار التفسير وإن تنزل المعنى على القضايا المعاصرة.

- **التوصيات:**

١. التوسع في دراسة النص القرآني من منظورات معاصرة، لا سيما النقدي منها.

٢. الاستفادة من النظريات النقدية في تفسير بعض مواضع من القرآن والروايات الأخرى في إطار ما يصلح منها لذلك، وبخاصة المنهجين: البنيوي والتاريخي ونظرية جماليات التلقي.

٣. التركيز على ربط الجدل القرآني بالمقام، والاستفادة من ذلك في إطار معرفي، على النحو الذي يكشف الأبعاد الحضارية والمعرفية لتلك العصور القديمة.

المراجع والمصادر

١. البخاري، محمد. (١٤٢٢هـ). صحيح البخاري. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط١). دار طوق النجاة. بيروت. (لبنان).

٢. البغوي، الحسين. (١٤٢٠هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. (ط١). دار إحياء التراث العربي. بيروت. (لبنان).

٣. الثعلبي، أحمد. (٢٠٠٢). الكشف والبيان عن تفسير القرآن. تحقيق: أبو محمد بن عاشور، ونظير الساعدي. (ط١). دار إحياء التراث العربي. بيروت. (لبنان).

٤. الجويني، ماهر. (٢٠٢١). الجدل في القرآن الكريم. مجلة مداد، بإفريقية للدراسات والتوثيق والنشر، مج٣، ع٥. تونس.

٥. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم. المحقق: أسعد محمد الطيب. (ط٣). مكتبة نزار مصطفى الباز. المملكة العربية السعودية.

٦. الحربي، محمد. (٢٠٢١). الأساليب الدعوية والجدلية في القصص القرآني: قصة إبراهيم عليه السلام أنموذجا. مجلة العلوم الشرعية، بجامعة القصيم، مج١٥، ع٢. (المملكة العربية السعودية).

٧. الحريملي، فيصل. (١٩٩٦). توفيق الرحمن في دروس القرآن. حققه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد. (ط١). دار العاصمة. الرياض. (المملكة العربية السعودية)، دار العليان للنشر والتوزيع. القصيم – بريدة. (المملكة العربية السعودية).
٨. رضا، رشيد. (١٩٩٠). تفسير المنار. (ط١). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. (مصر).
٩. الزجاج، إبراهيم. (١٩٨٨). معاني القرآن وإعرابه. المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، (ط١). عالم الكتب. بيروت. (لبنان).
١٠. ابن أبي زمنين، محمد. (٢٠٠٢). تفسير القرآن العزيز. تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة/ محمد بن مصطفى الكنز، (ط١). الفاروق الحديثة. القاهرة. (مصر).
١١. السمرقندي، نصر. (١٩٩٣). بحر العلوم. تحقيق: علي محمد معوض. (ط١). دار الكتب العلمية. بيروت. (لبنان).
١٢. السمعاني، منصور. (١٩٩٧). تفسير القرآن. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. (ط١). دار الوطن. الرياض. (المملكة العربية السعودية).
١٣. السهلي، عبد الله / آل الشيخ، الجوهرة / القحطاني، نجلاء/ المهيدب، أفنان. (٢٠٢٣). منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين: بدائل الجدل المنطقي. مجلة الدراسات العقدية، بالجامعة الإسلامية – كلية الدعوة وأصول الدين – الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، مج١٦، ع٣٢. المملكة العربية السعودية.
١٤. أبو شُهبة، محمد. (دت). الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. (ط٤). مكتبة السنة. القاهرة. (مصر).
١٥. الطبري، محمد. (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن. المحقق: أحمد محمد شاكر. (ط١). مؤسسة الرسالة. بيروت. (لبنان).
١٦. الطويل، محمد. (٢٠٢٣). موارد الجدل القرآني عند الحنابلة: دراسة استقرائية وصفية. مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع١٤٦. القاهرة. (مصر).
١٧. ابن عاشور، محمد. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. (دط). الدار التونسية للنشر. تونس.
١٨. عبد الرزاق، بن همام. (١٤١٩هـ). تفسير عبد الرزاق. تحقيق: محمود محمد عبده، (ط١). دار الكتب العلمية. بيروت. (لبنان).
١٩. الغزالي، أبو حامد. (٢٠٠٥). إحياء علوم الدين. (ط١). دار المعرفة. بيروت. (لبنان).
٢٠. فضل، صلاح. (١٩٩٥). شفرات النص دراسة سيميولوجية في الشعرية القص والقصيد. (ط١). عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. (مصر).

٢١. القرطبي، محمد. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢). دار الكتب المصرية. القاهرة. (مصر).
٢٢. القشيري، عبد الكريم. (٢٠٠٧). لطائف الإشارات. المحقق: إبراهيم البسيوني، (ط٣). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. (مصر).
٢٣. الكرماني، محمود. (٢٠٢٠). غرائب التفسير وعجائب التأويل. (دط). مؤسسة علوم القرآن. بيروت. (لبنان).
٢٤. الماتريدي، محمد. (٢٠٠٥). تأويلات أهل السنة. تحقيق: مجدي باسلوم، ط١. دار الكتب العلمية . بيروت. (لبنان).
٢٥. الماوردي، علي. (دت). النكت والعيون. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (دط). دار الكتب العلمية. بيروت. (لبنان).
٢٦. المراغي، أحمد. (١٩٤٦). تفسير المراغي. (ط١). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده. القاهرة. (مصر).
٢٧. ابن سليمان، مقاتل. (٢٠٠٢). تفسير مقاتل بن سليمان. تحقيق: عبد الله محمود شحاته. (ط١). دار إحياء التراث. بيروت. (لبنان).
٢٨. مكي بن أبي طالب، حَمّوش. (٢٠٠٨). الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية– جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي. (ط١). مجموعة بحوث الكتاب والسنة. الشارقة. (الإمارات).

مجلة السلام الجامعة للعلوم الانسانية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

AL-SALAM UNIVERSITY COLLEGE JOURNAL

No. 22
part 1

الرقم الدولي للمجلة
(2522 - 3402)
ISSN - 2959555-X (Print)
ISSN - 29595541- (Electronic)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/74

March
A.H. 1447- A.D. 2026

Registration No. at the House
Of books and documents:
(2127) - year (2015)

مكتب دلير